كتاب

الرد على الجهمية

تأليف

الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي

تحقيق

زهير الشاويش

تخريج

محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي

الطبعة الرابعة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المكتب الاسلامي

بيروت : ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً : اسلاميا

دمشق : ص.ب. ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً : اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو المكارم ، عبد العظيم بن عبد اللطيف بن أبي نصر الشرابي الأصبهاني في كتابه إلينا قال : أخبرتنا الشيخة أم الصبح ضوء النساء بنت أبي الفتح عبد الرزاق بن محمد بن سهل الشرابي ، بقراءتي عليها في ربيع الثاني من سنة سبع وستين وخمسمائة قالت : أنبأ أبي الإمام أبو الفتح عبد الرزاق قراءة عليه في دارنا بأصبهان ، في صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة قال : ثنا الشيخ الإمام نجم الخطباء أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المذكّر الهروي المقيم بـ (صع) - قرية من قرى هراة - فيما قرأت عليه بها من أصل سماعه ، بخط الحافظ أبي الفتح بن سمكويه قلت له : أخبركم الشيخ الفقيه أبو روح ثابت ابن محمد الأزدي السعدي في شهور سنة ست وخمسين وأربعمائة قال : أنبأ أبي أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل قال : ثنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن إبراهيم القرشي ، أن الإمام أبا سعيد عثمان بن سعيد قال :

الحمد لله الذي (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) [1] (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في لأرض)[2] يعلم سر خلقه وجهرهم ، ويعلم ما يكسبون ، نحمده بجميع محامده ، ونصفه بما وصف به نفسه ووصفه به الرسول .

فهو : الله ، الرحمن ، الرحيم ،قريب ، مجيب ، متكلم قائل،وشاء ، مريد ، (فعال لما يريد) [3] الاول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، له

(١) سورة طه ، الاية : ٦ (٢) سورة سبأ ، الاية : ٣

(٣) سورة البروج ، الاية : ١٦

الأمر من قبل ومن بعد ، و (له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)[1] .
و(له الأسماء الحسنى)[2] (يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)[3]. (يقبض ويبسط)[4] ، ويتكلم ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب، ويحب ، ويبغض ، ويكره ، ويضحك ، ويأمر، وينهى ، ذو الوجه الكريم، والسمع السميع ، والبصر البصير ، والكلام المبين ، واليدين والقبضتين ، والقدرة والسلطان والعظمة ، والعلم الأزلي ، لم يزل كذلك ولا يزال، استوى على عرشه فبان من خلقه ، لا تخفى عليه منهم خافية ، علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[5] .

فبهذا الرب نؤمن ، وإياه نعبد ، وله نصلي ونسجد ، فمن قصد بعبادته الى اله بخلاف هذه الصفات ، فإنما يعبد غير الله ،وليس معبوده بإله ، كفرانه لا غفرانه .

فنشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه لوحيه ، وانتخبه لرسالته ، واختاره من خلقه لخلقه ، فأنزل عليه كلامه المبين،وكتابه العزيز الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[6] (قرآناً عربياً غير ذي عوج)[7] (يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين)[8] فيه نبأ الأولين وخبر الآخرين ، لا تنقضي عبره ، ولا تفنى عجائبه ، غير مخلوق ولا منسوب الى مخلوق (نزل به الروح الأمين ، على قلبك

---

(١) سورة الاعراف ، الاية : ٥٤
(٢) سورة طه ، الاية : ٨
(٣) سورة الحشر ، الاية : ٢٤
(٤) سورة البقرة، الاية : ٢٤٥
(٥) سورة الشورى ، الاية : ١١
(٦) سورة فصلت ، الاية : ٤٢
(٧) سورة الزمر ، الاية : ٢٨
(٨) سورة الاسراء ، الاية : ٩

لتكون من المنذرين)[1] من لدن حكيم عليم . وقال : (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)[2] . وقال : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)[3] من قال به صدق ، ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ، ثم قال لنبيه ﷺ : (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)[4] فقرأه كما أمر ، دعا اليه سراً وجهراً ، فلما سمع المشركون آيات مبينات قالوا : ساحر ، وكاهن ، وشاعر ، ومعلم مجنون (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق)[5] و (إن هذا الا قول البشر)[6] (لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا الا أساطير الاولين)[7] وقالوا (إن هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون)[8] (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)[9] (إنما يعلمه بشر)[10] مخلوق بكلام مخلوق مختلق .

فكذب الله عزوجل قولهم ، وأبطل دعواهم ، فقال تعالى : (فقد جاؤوا ظلماً وزوراً)[11] وقال تعالى: (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض إنه كان غفوراً رحيماً)[12] (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)[13] وقال : (لسان الذي يلحدون إليه

---

(١) سورة الشعراء ، الآيتان : ١٩٣، ١٩٤
(٢) سورة النمل ، الاية : ٦
(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ١٩٣–١٩٥
(٤) سورة الاسراء، الاية: ١٠٦
(٥) سورة الصافات ، الاية : ٧
(٦) سورة المدثر، الاية : ٢٥
(٧) سورة الانفال، الاية : ٣١
(٨) سورة الفرقان ، الاية : ٤
(٩) سورة الفرقان ، الاية : ٥
(١٠) سورة النحل، الاية: ١٠٣
(١١) سورة الفرقان ، الاية : ٤
(١٢) سورة الفرقان ، الاية : ٦
(١٣) سورة النحل ، الاية : ١٠٢

أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين)[١] ثم قال : (لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[٢] .

ثم ندبهم جميعاً الى أن يأتوا بمثله تخرصاً وتعلماً من الخطباء والشعراء وغيرهم ان كانوا صادقين . فقال تبارك وتعالى : (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)[٣] ويأتوا[٤] بسورة مثله (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ، أعدت للكافرين)[٥] فلم يقدر الجن ، والأنس عربها وعجمها ، من عبدة الأوثان ، وعلماء أهل الكتابين ، أن يأتوا بسورة ، ولا ببعض سورة . ولو علموا أنهم قادرون عليها لدعوا شهداءهم إلى ذلك ، وبذلوا فيها الرغائب من الأموال وغيرها ، لخطبائهم ، وشعرائهم ، وأحبارهم ، وأساقفتهم ، وكهنتهم ، وسحرتهم أن يأتوا بسورة مثلها ، تصديقاً لما ادعوا من الزور ، تكذيباً بمحمد ﷺ ، وأنّى يأتي المخلوق بمثل كلام الخالق ؟! وكيف يقدر عليه ؟! وقد قال الله تعالى : (ولن تفعلوا)[٥] فلن تفعلوا إلى يوم القيامة ، فكما أنه ليس كمثله شيء ، فليس ككلامه كلام .

فلم يزل رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله ، وإلى كتابه وكلامه سراً وجهراً ، محتملاً لما ناله من أذاهم ، صابرا عليه ، حتى أظهره الله وأعزه ، وأنزل عليه نصره ، فضرب وجوه العرب والعجم بالسيوف ، حتى ذلوا ودانوا ، ودخلوا الإسلام طوعاً وكرهاً ، واستقاموا حياته وبعد وفاته ، لا يجترىء كافر ، ولا منافق متعوذ بالاسلام ، أن يظهر ما في نفسه من الكفر ، وإنكار النبوة ،

---

(١) سورة النحل ، الاية : ١٠٣ (٢) سورة الاسراء ، الاية : ٨٨

(٣) سورة هود ، الاية : ١٣ (٤) في الاصل: وأتوا، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٥) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٣، ٢٤

فرقاً من السيف ، وتخوفاً من الافتضاح . بل كانوا يتقلبون مع المسلمين بغم ، ويعيشون فيهم على رغم ، دهراً من الدهر ، وزماناً من الزمان .

وكان أول من أظهر شيئاً منه بعد كفار قريش : الجعد بن درهم بالبصرة ، وجهم بخراسان ، اقتداء بكفار قريش ، فقتل الله جهماً شر قتلة .

وأما الجعد ، فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، فذبحه ذبحاً بواسط ، في يوم الأضحى ، على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين ، لا يعيبه به عائب ، ولا يطعن عليه طاعن . بل استحسنوا ذلك من فعله ، وصوبوه من رأيه .

حدثناه القاسم بن محمد البغدادي ، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب ، عن أبيه ، عن جده حبيب بن أبي حبيب ، قال : خطبنا خالد بن عبد الله القسري بواسط ، يوم الأضحى فقال :

أيها الناس : ارجعوا فضحوا ، تقبل الله منا ومنكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، وتعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً ، ثم نزل فذبحه .

قال أبو سعيد : ثم لم يزالوا بعد ذلك مقموعين ، أذلة مدحورين ، حتى كان الآن بآخره ، حيث قلّت الفقهاء ، وقبض العلماء ، ودعا الى البدع دعاة الضلال ، فشد ذلك طمع كل متعوذ في الاسلام ، من أبناء اليهود ، والنصارى ، وأنباط العراق ، ووجدوا فرصة للكلام ، فجدوا في هدم الاسلام ، وتعطيل ذي الجلال والإكرام ، وإنكار صفاته ، وتكذيب رسله ، وإبطال وحيه إذ وجدوا فرصتهم ، وأحسوا من الرعاع جهلاً ، ومن العلماء قلّة ، فنصبوا عندها الكفر للناس إماماً يدعونهم إليه ، وأظهروا لهم أغلوطات من المسائل ، وعمايات من الكلام ، يغالطون بها أهل الاسلام ، ليوقعوا في قلوبهم الشك ، ويلبسوا عليهم أمرهم ، ويشككوهم في خالقهم ، مقتدين بأئمتهم الأقدمين

الذين قالوا : (ان هذا إلا قول البشر) [1] و (إن هذا إلا اختلاق) [2] فحين رأينا ذلك منهم، وفطنا لمذهبهم، وما يقصدون إليـــه ، من الكفر ، وإبطال الكتب والرسل ، ونفي الكلام والعلم والأمر عن الله تعالى ، رأينا أن نبين من مذاهبهـــم رسوماً من الكتاب والسنة وكلام العلماء ، ما يستدل به أهل الغفلة من النـــاس على سوء مذهبهم ، فيحذروهم على أنفسهم ، وعلى أولادهم وأهليهم ، ويجتهدوا في الرد عليهم ، محتسبين منافحين عن دين الله تعالى ،طالبين به ما عند الله .

وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه ، وقد كانوا رزقوا العافية منهم ، وابتلينا بهم عند دروس الاسلام ،وذهاب العلماء، فلم نجد بداً من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق . وقد كان رسول الله ﷺ يتخوف ما أشبه هذا على أمته ، ويحذرها إياهم ، ثم الصحابة بعده والتابعون ، مخافة أن يتكلموا في الله وفي القرآن بأهوائهم فيضلوا ، ويتماروا به على جهـل فيكفروا ، فان رسول الله ﷺ قد قال : « المراء في القرآن كفر» ، وحتى إن بعضهم كانوا يتقون تفسيره ، لأن القائل فيه إنما يقول على الله .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كلام الله مالا أعلم .

وسئل عبيدة السلماني عن شيء من تفسير القرآن، فقال : اتق الله،وعليك بالسداد ، فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل القرآن. فهذا الصدّيق خير هذه الأمة بعد نبيها ، والخليفة بعده ، قد شهد التنزيل ، وعاين الرسول ، وعلم فيما أنزل القرآن ، إلا ما شاء الله يتوقّى أن يقول في القرآن ، مخـــافة أن لا يصيب ما عنى الله فيهلك ، ثم عبيدة السلماني بعده ، وكان من كبار التابعين ،

---

(١) سورة المدثر ، الاية : ٢٥ (٢) سورة ص ، الاية : ٧

فكيف بهؤلاء المنسلخين من الدين والعلم ، الذين ينقضونه نقضاً ، ويفسرونه بأهوائهم خلاف ما عنى الله ، وخلاف ما تحتمله لغات العرب .

ولقد قال بعض أهل العلم : لا تهلك هذه الأمة حتى تظهر فيهم الزندقة ، ويتكلموا في الرب تبارك وتعالى .

حدثناه سويد بن سعيد الأنباري ، ثنا خلف بن خليفة ، عن الحجاج بن دينار ، عن منصور بن المعتمر قال : ما هلك دين قط حتى تخلف المنانية ، قلت وما المنانية ؟ قال : الزنادقة .

وحدثنا محمد بن كثير العبدي ، أنبأ سفيان — يعني الثوري — عن سالم — يعني ابن أبي حفصة — عن أبي يعلى ، عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، قال : لا تنقضي الدنيا حتى تكون خصومتهم في ربهم .

وحدثناه يحيى الحماني ، ثنا عمرو بن ثابت ، عن سالم بن أبي حفصة — قال أبو سعيد : وأحسبه — عن أبي يعلى منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية قال : إنما تهلك هذه الأمة إذا تكلمت في ربها .

حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، ثنا علي بن الحسن بن شقيق ، عن ابن المبارك قال : لأن أحكي كلام اليهود والنصارى ، أحب إليّ من أن أحكي كلام الجهمية .

حدثنا سهل بن بكار ، ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزالون يسألون ، حتى يقال لأحدكم : هذا الله خلقنا ، فمن خلق الله تبارك وتعالى ؟ » .

قال أبو هريرة : وإني لجالس ذات يوم ، إذ قال رجل من أهل العراق : يا أبا هريرة ! هذا الله خلقنا ، فمن خلق الله تبارك وتعالى ؟ قال أبو هريرة : فوضعت أصبعي في أذني وصرخت : صدق الله ورسوله ، الله الواحد الأحد

الصمد (لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) [1] .

وحدثناه يحيى بن بكير المصري ، ثنا الليث - يعني ابن سعد - عن عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي الشيطان العبد ، فيقول له : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له : من خلق ربك ؟ فليستعذ بالله ولينته » .

حدثنا علي بن المديني ، ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : مَن خلق السماء ؟ فيقول : الله عز وجل ، فيقول : من خلق الأرض ؟ فيقول : الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنا بالله » .

حدثني أحمد بن منيع ، ثنا محمد بن ميسر أبو سعد ، ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، أن المشركين قالوا : يا رسول الله ! انسب لنا ربك ! - قال - فأنزل الله عز وجل : (قل هو الله أحد ، الله الصمد) [1] - قال - فالصمد : الذي (لم يلد ولم يولد) . [1] لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله لا يموت ولا يورث (ولم يكن له كفواً أحد) [1] - قال - لم يكن له شبيه ولا عدل ، وليس كمثله شيء .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو هلال - وهو الراسبي - قال : ثنا رجل ، أن عبد الله بن رواحة قال للحسن : هل تصف ربك ؟ قال : نعم بغير مثال .

حدثنا أبو سلمة ، عبد الواحد - يعني ابن زياد : ثنا سالم - يعني ابن أبي حفصة - : ثنا منذر أبو يعلى الثوري قال : قال محمد بن الحنفية :

---

(١) من سورة الإخلاص ، الايتان : ٣ ، ٤

إن قوماً ممن كانوا قبلكم أوتوا علماً ، كانوا يكتفون فيـــه ، فسألوا عما فوق السماء ، وما تحت الأرض ، فتاهوا . كان أحدهم إذا دعي من بين يديه ،أجاب من خلفه ، وإذا دعي من خلفه ، أجاب من بين يديه .

قال أبو سعيد : ولو لا مخافة هذه الأحاديث وما يشبهها ، لحكيت من قبح كلام هؤلاء المعطلة ، وما يرجعون اليه من الكفر حكايات كثيرة ،يتبين بها عورة كلامهم ، وتكشف عن كثير من سوءاتهم ، ولكنا نتخوف من هذه الأحاديث ، ونخاف أن لا تحتمله قلوب ضعفاء الناس ، فنوقع فيها بعض الشك والريبة ، لأن ابن المبارك قال : لأن أحكي كلام اليهود والنصارى، أحب إلي من أن أحكي كلام الجهمية .

وصدق ابن المبارك ، إن من كلامهم في تعطيل صفات الله تعالى ، ماهو أوحش من كلام اليهود والنصارى ،غير أنا نختصر من ذلك ما نستدل به على الكثير إن شاء الله تعالى .

باب الإيمان بالعرش

وهو أحد ما أنكرته المعطلة .

قال أبو سعيد : وما ظننا أنا نضطر إلى الاحتجاج على أحـــد ممن يدعي الاسلام في اثبات العرش والإيمان به ، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الامم قبلنا ، والى الله نشكو ما أوهت هذه العصابة من عرى الاسلام ، واليه نلجأ وبه نستعين .

وقد حقق الله العرش في آي كثيرة من القرآن . فقـال تعالى : (خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) [1] وقال تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [2] وقال تعالى : (ثم استوى على العرش الرحمن فَسْئَلْ به خبيراً) [3] (وترى الملائكة حافين من حول العرش) [4] في آي كثـــيرة سواها .

فادعت هذه العصابة أنهم يؤمنون بالعرش ويقرون به ، لانه مذكور في القرآن ، فقلت لبعضهم : ما إيمانكم به إلا كإيمان (الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) [5] وكالذين (اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون) [6] ، أتقرون أن لله عرشاً معلوماً موصوفاً فوق السماء السابعة تحمله الملائكة ، والله فوق، كما وصف نفسه ، بائن من خلقه ؟ فأبى أن يقر به كذلك ، وتردد في الجواب ، وخلط ولم يصرح .

---

(١) سورة هود ، الاية : ٧ (٢)سورة طه ، الاية : ٥

(٣) سورة الفرقان، الاية : ٥٩ (٤) سورة الزمر ، الاية : ٧٥

(٥) سورة المائدة، الاية : ٤١ (٦) سورة البقرة ، الاية : ١٤

قال أبو سعيد : فقال لي زعيم منهم كبير : لا ، ولكن لما خلق الله الخلق، يعني السموات والأرض وما فيهن ، سمى ذلك كله عرشاً له، واستوى على جميع ذلك كله .

قلت : لم تدعوا من إنكار العرش والتكذيب به غاية ، وقد أحاطت بكم الحجج من حيث لا تدرون ، وهو تصديق ماقلنا : إن إيمانكم به كإيمان (الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)[1] . فقد كذبكم الله تعالى به في كتابه ، وكذبكم به الرسول ﷺ ، أرأيتم قولكم : إن عرشه سماواته وأرضه وجميع خلقه، فما تفسيرقوله عندكم : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم)[2] ؟ أحمله عرش الله ، أم حمله خلقه ؟ وقوله : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[3] أيحملون السموات والأرض ومن فيهن ، أم عرش الرحمن ؟ فإنكم ان قلتم[4] قولكم هذا ، يلزمكم أن تقولوا : عرش ربك خلق ربك أجمع ، وتبطلون العرش الذي هو العرش، وهذا تفسير لا يشك أحد في بطوله[5] واستحالته ، وتكذيب بعرش الرحمن تبارك وتعالى . فقال الله تبارك وتعالى : (خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)[6] وقال رسول الله ﷺ : « كان الله ولم يكن شيء ، وكان عرشه على الماء » ، ففي قول الله تعالى ، وحديث رسول الله ﷺ دلالة ظاهرة ، أن العرش كان مخلوقاً على الماء ، إذ لا أرض ولا سماء . فلم تغالطون الناس بما أنتم له منكرون؟ ولكنكم تقرون بالعرش بألسنتكم تحرزاً من إكفار الناس إياكم

---

(١) سورة المائدة ، الاية : ٤١

(٢) سورة غافر ، الاية : ٧

(٣) سورة الحاقة ، الاية : ١٧

(٤) في الاصل : قد تم

(٥) أي في بطلانه

(٦) سورة هود ، الاية : ٧

بنص التنزيل ، فتضرب عليه رقابكم ، وعند أنفسكم أنتم به جاحدون . ولعمري لئن كان أهل الجهل في شك من أمركم ، ان أهل العلم من أمركم لعلى [يقين] — أو كما قلت لهم ، زاد أو نقص .

حدثنا محمد بن كثير ، أنبأ سفيان ـ وهو الثوري ـ عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : جاء نفر من بني تميم الى رسول الله ﷺ فقال : «يا بني تميم أبشروا» ! قالوا : قد بشرتنا فأعطنا ! ـ قال ـ فتغير وجه رسول الله ﷺ ـ قال ـ فجاءه أهل اليمن ، فقال لأهل اليمن : « يا أهل اليمن ! اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم ». قالوا : قد قبلنا ، فأخذ رسول ﷺ يحدث ببدء الخلق والعرش ـ قال ـ فجاء رجل فقال : يا عمران ! راحلتك [تفلتت] ، ـ قال ـ فقمت وليتني لم أقم .

وحدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي ، أنبأ أبو إسحاق الفزاري ، عن الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن حصين قال : أتيت رسول الله ﷺ فعقلت ناقتي بالباب ، ثم دخلت ، فأتاه نفر من بني تميم فقال : « اقبلوا البشرى [يابني تميم » ، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا ـ مرتين ـ ، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى] ياأهل اليمن إذ لم يقبلها إخوانكم بنو تميم » . قالوا : قبلنا يا رسول الله ، اتيناك لنتفقه في الدين ، ونسألك عن أول هذا الأمر حيث كان ، قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » ـ قال ـ : ثم أتاني رجل فقال : أدرك ناقتك فقد ذهبت ، فخرجت فوجدتها قد يقطع دونها السراب ، وايم الله لوددت أني تركتها .

قال ابو سعيد : ففي هذا بيان بين أن الله تعالى خلق العرش قبل السموات والأرض وما فيهن ، وتكذيب لما ادعوا من الباطل .

وحدثنـــا عبد الله بن أبي شيبة قال : ثنا عبد الله بن بكر السهمي ، ثنا بشر بن نمير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « خلق الله الخلق ، وقضى القضيَّة ، وآخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، وأخذ أهل اليمين بيمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى ، وكلتا يدي الرحمن يمين » ، ثم قال : « يا أصحاب اليمين ، قالوا : لبيك ربنا وسعديك . قال: ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، ثم قال : يا أصحاب الشمال ، قالوا : لبيك ربنا وسعديك . قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . - قال - فخلط بعضهم ببعض فقـال قائل : رب لم خلطت بيننا ؟قال:(لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون)[1] الى قوله : (كنا عن هذا غافلين)[2] ثم ردهم في صلب آدم - قال - وقال رسول الله ﷺ : « خلق الله الخلق ، وقضى القضيَّة ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على المـــاء ، وأهل الجنة أهلهـا ، وأهل النار أهلها » - قال - فقال قائل : يا نبي الله ! ففيم العمل ؟ قال : « أن يعمل كل قوم لمنزلتهم » فقال عمر : إذاً نجتهد ، - قال - وسئل رسول الله ﷺ عن الأعمال . فقيل : يا رسول الله ! أرأيت الأعمال ، أشيء يؤتنف ؟ أو فرغ منها ؟ قال : « بل فرغ منها » . حـدثنا يحيى الحماني ، ويحيى بن صالح الوحاظي ، قالا : ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنـــه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن في الجنـة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلى الجنة ، وأوسطها ، وفوقها عرش الرحمان ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس » .

حدثنا محمد بن كثير ، أنبأ سفيان - وهو الثوري - : ثنا ابو هاشم ، عن مجاهد ،

---

(١) سورة المؤمنون ، الاية : ٦٣ (٢) سورة الاعراف ، الاية : ١٧١

عن ابن عباس قال : ان الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم ، فأمره وكتب ما هو كائن ، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري ، قال : حدثني ابن لهيعة ، ورشدين ابن سعد ، عن ابي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق شيئاً اذ كان عرشه على الماء ، وإذ لا أرض ولا سماء ، خلق الريح فسلطها على [الماء] ، حتى اضطربت أمواجه وأثار ركامه ، فأخرج من الماء دخاناً وطيناً وزبداً ، فأمر الدخان فعلا ، وسما ، ونمى ، فخلق منه السموات ، وخلق من الطين الأرضين ، وخلق من الزبد الجبال .

قال ابو سعيد رحمه الله: ففي ما ذكرنا من كتاب الله عز وجل ، وفي هذه الأحاديث بيان بين أن العرش كان مخلوقاً قبل ما سواه من الخلق ، وأن ما ادعى فيه هؤلاء المعطلة ، تكذيب بالعرش ، وتخرص بالباطل ، ولو شئنا أن نجمع في تحقيق العرش كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، والتابعين ، لجمعنا . ولكن علمنا أنه خلص علم ذلك والايمان به الى النساء والصبيان ، إلا الى هذه العصابة الملحدة في آيات الله ، طهر الله منهم بلاده ، وأراح منهم عباده !

بَابُ اسْتواءِ الرَّبِّ تبارك وَتعَالى عَلى العَرْش وَارتفَاعه إلى السَّماء وَبَيْنُونته مِنَ الخلق

وهو أيضا مما أنكروه .

وقد قال الله تبارك وتعالى: (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) [1] وقال : (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) [2] وقد قال : (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) [3] وقوله: (إني متوفيك ورافعك إليَّ)[4] وقوله: (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) [5] وقوله : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [6] وقوله : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [7] وقوله : (ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) [8] وقوله : (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي

---

(١) سورة الاعراف ، الاية : ٥٤ (٢) سورة طه ، الايات : ٤ – ٨

(٣) سورة السجدة، الايات: ٤ – ٦ (٤) سورة آل عمران ، الاية : ٥٥

(٥) سورة الانعام، الاية : ١٨ (٦) سورة النحل ، الاية : ٥٠

(٧) سورة فاطر ، الاية : ١٠ (٨) سورة المعارج ، الايتان : ٣، ٤

تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير)[١] (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)[٢] .

قال أبو سعيد : أقرت هذه العصابة بهذه الآيات بألسنتها، وادَّعوا الإيمان بها ، ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها ،فقالوا : الله في كل مكان ، لا يخلو منه مكان . قلنا : قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على عرشه ، إذ ادعيتم أنه في كل مكان ، فقالوا : تفسيره عندنا أنه استولى عليه وعلاه ، قلنا :فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعله ، حتى خص العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه ، وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه ؟ فأي معنى اذاً لخصوص العرش إذ كان عندكم مستوياً على جميع الأشياء، كاستوائه على العرش تبارك وتعالى؟ هذا محال من الحجج ، وباطل من الكلام، لا تشكّون أنتم ان شاء الله في بطوله[٣] واستحالته،غير أنكم تغالطون به الناس .

أرأيتم إذ قلتم : هو في كل مكان،وفي كل خلق ، أكان الله إلهاً واحداً قبل أن يخلق الخلق والأمكنة؟قالوا : نعم.قلنا : فحين خلق الخلق والأمكنة، أقدر أن يبقى كما كان في أزليته في غير مكان ؟ فلا يصير في شيء من الخلق والأمكنة التي خلقها بزعمكم ، أو لم يجد بداً من أن يصير فيها ، أو لم يستغن عن ذلك ؟ قالوا : بلى . قلنا : فما الذي دعا الملك القدوس إذ هو على عرشه في عزه وبهائه بائن من خلقه ، أن يصير في الأمكنة القذرة، وأجواف الناس، والطير ، والبهائم ، ويصير في كل زاوية وحجرة ومكان منه شيء[٤] ؟!

---

(١) سورة الملك ، الايتان : ١٦، ١٧ (٢) سورة فصّلت،الايات :٩ – ١٢
(٣) أي في بطلانه (٤) كذا الاصل

لقد شوهتم معبودكم إذ كانت هذه صفته ، والله أعلى وأجل من أن تكون هذه صفته ، فلا بد لكم من أن تأتوا ببرهان بين على دعواكم من كتاب ناطق أو سنة ماضية ، أو إجماع من لمسلمين ، ولن تأتوا بشيء منه أبداً .

فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة - أستوحش من ذكرها - وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال : قال الله تعالى :(مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)[1] قلنا : هذه الآية لنا عليكم ، لا لكم ، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأن علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ، ولا يتوارون منه بشيء ، وهو بكماله فوق العرش ، بائن من خلقه (يعلم السر وأخفى)[2] أقرب الى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد ، قادر على أن يكون له ذلك ، لأنه لا يبعد عنه شيء ، ولا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض ، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم ، وكذلك فسرته العلماء .

فقال بعضهم : دعونا من تفسير العلماء ، إنما احتججنا بكتاب الله ، فأتوا بكتاب الله ! قلنا : نعم هذا الذي احتججتم به هو حق ، كما قال الله عز وجل ، وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا ، غير أنكم جهلتم معناها ، فضللتم عن سواء السبيل ، وتعلقتم بوسط الآية ، وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها ، لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم ، وختمها به ، فقال : (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)[1] إلى قوله : (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)[1] ، ففي هذا دليل على أنه

---

(١) سورة المجادلة ، الاية : ٧ (٢) سورة طه ، الاية : ٧

أراد العلم بهم وبأعمالهم ، لا أنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم ، فهذه حجة بالغة لو عقلتم ، وأخرى أنا لما سمعنا قول الله عز وجل في كتابه : (استوى على العرش) [1] و (استوى إلى السماء) [2] وقوله : (ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه) [3] وقوله : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) [4] و (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [5] (وهو القاهر فوق عباده) [6] و (إني متوفيك ورافعك إليّ) [7] وما أشبهها من القرآن ، آمنا به ، وعلمنا يقيناً بلا شك أن الله فوق عرشه فوق سمواته ، كما وصف ، بائن من خلقه ، فحين قال : (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) [8] قلنا : هو معهم بالعلم الذي افتتح به الآية وختمها ، لأنه قال في آي كثيرة ما حقق أنه فوق عرشه فوق سماواته ، فهو كذلك لا شك فيه ، فلما أخبر أنه مع كل ذي نجوى . قلنا : علمه وبصره معهم ، وهو بنفسه على العرش بكماله ، كما وصف ، لأنه لا يتوارى منه شيء ، ولا يفوت علمه وبصره شيء في السماء السابعة العليا ، ولا تحت الأرض السابعة السفلى ، وهذا كقوله تعالى لموسى وهارون : (إنني معكما أسمع وأرى) [9] من فوق العرش .

فهل من حجة أشفى وأبلغ مما احتججنا به عليك من كتاب الله تعالى . ثم الروايات لتحقيق ما قلنا متظاهرة عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ، سنأتي منها ببعض ما حضر إن شاء الله تعالى . ثم إجماع من الأولين والآخرين العالمين منهم

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٩
(٣) سورة المعارج ، الايتان : ٣ ، ٤
(٤) سورة السجدة ، الاية : ٥
(٥) سورة فاطر ، الاية : ١٠
(٦) سورة الانعام ، الاية : ١٨
(٧) سورة آل عمران ، الاية : ٥٥
(٨) سورة المجادلة ، الاية : ٧
(٩) سورة طه ، الاية : ٤٦

والجاهلين ، أن كل واحد ممن مضى وممن غبر ، إذا استغاث بالله تعالى ، أودعاه ، أو سأله ، يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها ، ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض ، ولا من أمامهم ، ولا من خلفهم ، ولا عن أيمانهم ، ولا عن شمائلهم ، إلا من فوق السماء ، لمعرفتهم بالله أنه فوقهم ، حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم : سبحان ربي الأعلى ، لا ترى أحداً يقول : ربي الأسفل ، حتى لقد علم فرعون في كفره وعتوه على الله ، أن الله عز وجل فوق السماء فقال : (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) [1] .

ففي هذه الآية بيان بين ، ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون الى معرفة الله بأنه فوق السماء ، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ، ورام الاطلاع إليه .

وكذلك نمروذ ، فرعون إبراهيم ، اتخذ التابوت والنسور ، ورام الاطلاع الى الله ، لما كان يدعوه إبراهيم الى أن معرفته في السماء .

وكذلك كان محمد ﷺ يدعو إليه النـــاس ، ويمتحن به إيمانهم بمعرفة الله عز وجل .

حدثنا مسلم بن ابراهيم الأزدي ، ثنا أبان – وهو ابن يزيد العطار – عن يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية ابن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : كانت لي جارية ترعى غنماً لي في قبل أحد والجوانية ، وإني اطلعت يوماً اطلاعة ، فوجدت ذئباً ذهب منها بشاة ، وإني رجل من بني آدم ، آسف كما يأسفون ، فصككتها صكة ، فعظم ذلك على النبي ﷺ ، فقلت : أفلا أعتقها ؟ فقال : ادعها ! فقال لها النبي ﷺ : « أين الله ؟ » قالت في السماء ، قال : « فمن أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله ، قـال « اعتقها فانها مؤمنة » .

---

(١) سورة غافر ، الاية : ٣٧

وحدثناه يحيى بن يحيى ، ثنا بن علية ، عن الحجاج الصواف ، عن يحيي ابن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم ، عن النبي ﷺ مثله .

وحدثنا يحيى بن يحيى التميمي ، قال : قرأت على مالك بن أنس ، عن هلال بن أسامة ، عن عطاء بن يسار ، عن معاوية بن الحكم أنه قال : أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن جارية لي ترعى غنماً ، فجئتها ففقدت شاة من الغنم ، فسألتها عنها فقالت : أكلها الذئب ، فأسفت عليها ، وكنت من بني آدم ، فلطمت وجهها وعليّ رقبة ، أفأعتقها ؟ فقال لها رسول الله ﷺ : « أين الله ؟ » قالت : في السماء ، قال : « من أنا ؟ » قالت :أنت رسول الله ، قال : «اعتقها» !

قال أبو سعيد : ففي حديث رسول الله ﷺ هذا ، دليل على أن الرجل اذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الارض،فليس بمؤمن ، ولو كان عبداً فأعتق ، لم يجز في رقبة مؤمنة ، إذ لا يعلم أن الله في السماء .

ألا ترى أن رسول الله ﷺ جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله في السماء . وفي قول رسول الله ﷺ : « أين الله ؟ » تكذيب لقول من يقول : هو في كل مكان ، لا يوصف بأين ، لأن شيئاً لا يخلو منه مكان ، يستحيل أن يقال : أين هو ؟ ، ولا يقال : أين إلا لمن هو في مكان يخلو منه مكان ؛ ولو كان الأمر على ما يدعي هؤلاء الزائغة ، لأنكر عليها رسول الله ﷺ قولها وعلمها ، ولكنها علمت به ، فصدقها رسول الله ﷺ ، وشهد لها بالايمان بذلك ، ولو كان في الارض كما هو في السماء ، لم يتم إيمانها ، حتى تعرفه في الارض كما عرفته في السماء .

فالله تبارك وتعالى ، فوق عرشه ، فوق سمواته ، بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك ، لم يعرف إلهه الذي يعبد ، وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه

وأدناهم واحد، لا يبعد عنه شيء (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض)[1] سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علواً كبيراً .

حدثنا الحسن بن الصباح البزاز، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك - قال - : قيل له: كيف نعرف ربنا ؟قال: بأنه فوق السماء السابعة على العرش، بائن من خلقه .

قال أبو سعيد رحمه الله : ومما يحقق قول ابن المبارك ،قول رسول الله ﷺ للجارية : « أين الله؟ » يمتحن بذلك إيمانها . فلما قالت : في السماء، قال رسول الله ﷺ : « اعتقها فانها مؤمنة » .

والآثار في ذلك عن رسول الله ﷺ كثيرة، والحجج متظاهرة، والحمد لله على ذلك .

حدثنا مسدد، ثنا سفيان، عن عمرو - يعني ابن دينار - عن أبي قابوس، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الارض يرحمكم أهل السماء »

حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري، أنبأ الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا اشتكى أحدكم شيئاً، أو اشتكى أخ له، فليقل : ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل شفاء من شفائك، ورحمة من رحمتك على هذا الوجع، فيبرأ »[2] .

---

(١) سورة الاحزاب، الآية : ٣

(٢) إسناده واه،زيادة بن محمد هو الأنصاري.قال البخاري وغيره: منكر الحديث . وقد تفرد بهذا الحديث كما قال الذهبي، ويأتي له حديث آخر بعد عدة صفحات .

حدثني محمد بن بشار العبدي ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه عن جده قال: جاء رجل أعرابي[1] الى النبي ﷺ فقال : يا محمد هلكت المواشي ، ونهكت الأموال ، وإنا نستشفع بك على الله ، وبالله عليك فادع الله أن يسقينا! فقال النبي ﷺ : « يا أعرابي! ويحك ، وهل تدري ما تقول ؟ إن الله أعظم من أن يستشفع عليه بأحد من خلقه ، إن الله فوق عرشه ، فوق سمواته ، وسمواته فوق أرضيه مثل القبة — وأشار النبي ﷺ بيده مثل القبة — وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب[2] .

حدثنا محمد بن الصباح البغدادي ، ثنا الوليد ابن أبي ثور ، عن سماك ، عن عبد الله بن عميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : كنت بالبطحاء في عصابة وفيهم رسول الله ﷺ ، فمرت سحابة، فنظر اليها فقال : « ما تسمون هذه ؟ » قالوا : السحاب ، قال : و« المزن ؟ » قالوا : والمزن ، قال و « العنان؟ » ، قالوا : والعنان ، — قال — فقال : « ما بعد بين السماء والارض؟ » قالوا : لا ندري، قال : « فان بعد ما بينهما إما واحدة، وإما اثنتان، واما ثلاث وسبعون[3] سنة ، والسماء فوقها كذلك » . حتى عد سبع سموات ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ، وفوق ذلك ثمانية أوعال ، ما بين أظلافهن وركبهن ، مثل ما بين السماء الى السماء ، وعلى ظهورهن العرش ، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ، ثم الله عز وجل فوق ذلك تبارك وتعالى »[4] .

---

(١) في الأصل : تقديم وتأخير : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي .

(٢) إسناده ضعيف ،لأن إسحاق مدلس ، وقد عنعنه ، ولا يصح في أطيط العرش حديث .

(٣) في الأصل : إما اثنتين ، وإما ثلاثاً وسبعين بالنصب ، والتصحيح من « سنن أبي داود » رقم « ٤٧٢٣ » .

(٤) ضعيف ، علته عبد الله بن عميرة . قال الذهبي : فيه جهالة .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد – وهو ابن سلمة – : ثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ لما أسري به ، مرت رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ! «ما هذه الرائحة؟» فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ، كانت تمشطها ، فوقع المشط من يدها فقالت : بسم الله ! فقالت ابنته : أبي ؟ قالت : لا ، ولكن ربي ورب أبيك الله ، فقالت : أخبر بذلك أبي ؟ فقالت : نعم ، فأخبرته ، فدعا بها فقال : من ربك ؟ هل لك رب غيري ؟ قالت : ربي وربك الذي في السماء ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم دعا بها وبولدها فألقاهم فيها ». وساق أبو سلمة الحديث بطوله[1] .

حدثنا مسدد ، ثنا أبو الأحوص ، ثنا أبو إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من لم يرحم من في الأرض لم يرحمه من في السماء » .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، ثنا إسحاق بن سليمان ، ثنا أبو جعفر الرازي[2] ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما ألقي إبراهيم في النار قال : اللهم إنك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك » .

حدثنا مسدد ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر ، فخرج رسول الله ﷺ ، فحسر عنه ثوبه حتى أصابه ، فقلنا : يا رسول الله ! لم صنعت هذا ؟ قال : « لأنه حديث عهد بربه » .

قال أبو سعيد : ولو كان على ما يقول هؤلاء الزائغة أنه في كل مكان ، ما كان المطر أحدث عهداً بالله من غيره من المياه والخلائق .

---

(١) رجاله ثقات إلا أن عطاء بن السائب كان اختلط ، وقد روى عنه حماد في الاختلاط .

(٢) سيء الحفظ

حـدثنـا عبد الله ابن أبي شيبة ، ثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه : أيها الناس : إن كان محمد إلهكم الذي تعبدون ، فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء ، فإن إلهكم لم يمت ، ثم تلا : (وما محمد إلا رسول قـد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)[1] حتى ختم الآية .

حـدثنـا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : سمعت أبا يزيد – يعني المدني – قال : لقيت امرأة عمر ، يقال لها : خولة بنت ثعلبة – وهو يسير مع الناس – فاستوقفته ، فوقف لهـا ، ودنا منها ، وأصغى اليها رأسه حتى قضت حاجتها وانصرفت . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين احبست رجالات قريش على هذه العجوز ؟ فقال : ويلك وهل تدري من هذه ؟ قال: لا ،قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عني الى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها ، إلا أن تحضر صلاة فأصليها ، ثم أرجع اليها حتى تقضي حاجتها .

حـدثنـا أحمد بن يونس ،ثنا أبو شهاب الحناط ،عن الأعمش ، عن خيثمة، أن عبد الله قال : إن العبد ليهم بالأمر من التجارة ، أو الإمارة ، حتى اذا تيسر له ، نظر الله اليه من فوق سبع سموات ، فيقول للملك : اصرفه عنه ! – قال – فيصرفه ، فيتظنى بجيرته : سبقني فلان وما هو إلا الله .

حـدثنـا موسى بن إسماعيل ، ثنا حمـاد – يعني ابن سلمة – عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما بين السماء الدنيا والتي تليهـا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة

---

(١) سورة آل عمران ، الاية : ١٤٤

وبين الكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي الى الماء خمسمائة عام ، والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه[1] .

حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري ،أنبأ يحيى بن أيوب ،حدثني عمارة بن غزية ، عن قدامة بن ابراهيم بن محمد بن حاطب[2] ،أنه حدثه أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وقع بجارية له ، فقالت له امرأته : فعلتها ؟ ! قال : أما أنا فأقرأ القرآن ، فقالت : أما أنت فلا تقرأ القرآن وأنت جنب ، فقال : أنا أقرأ لك ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام ... ملائكة الإله مسومينا

فقالت : آمنت بالله ، وكذبت البصر .

وحدثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا جويرية - يعني ابن أسماء - قال سمعت نافعاً يقول : قالت عائشة رضي الله عنها : وايم الله ، إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلت - تعني عثمان - ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله .

حدثنا النفيلي ، ثنا زهير بن معاوية ، ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، حدثني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، أنه حدثه ذكوان حاجب عائشة رضي الله عنها ، أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة وهي تموت فقال لها : كنت أحب نساء رسول الله ﷺ الى رسول الله ﷺ ، ولم يكن رسول ﷺ يحب إلا طيباً ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، جاء بها

---

(١) إسناده حسن ، ولكنه موقوف .

(٢) أورده ابن أبي حاتم (١٢٩/٢/٣) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، فهو مجهول الحال .

الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يذكر فيه الله إلا وهي تتلى فيه آناء الليل والنهار .

حدثنا محمد بن عمران ابن أبي ليلى ، ثنا موسى أبو محمد من موالي عثمان بن عفان – قال : وكان من خيار الناس – عن خالد بن يزيد بن عبد الله ، عن أبيه عن جده قال : خطب على الناس الخطبة التي لم يخطب بعدها فقال : الحمد لله الذي دنا في علوه ، وناء في دنوه ، لا يبلغ شيء مكانه ، ولا يمتنع عليه شيء أراده .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ سليمان بن المغيرة ، عن ثابت البناني ، ثنا رجل من أهل الشام ، وكان يتبع عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويسمع منه قال : كنت معه ، فلقي نوفاً . فقال نوف : ذكر لنا أن الله تعالى قال لملائكته : ادعوا لي عبادي ! فقالوا : يا رب ! كيف ؟ – والسموات السبع دونهم ، والعرش فوق ذلك – ، قال : إنهم اذا قالوا : « لا إله إلا الله » فقد استجابوا لي ، – قال – يقول عبد الله بن عمرو : صلينا مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب – أو قال غيرها ، شك سليمان – فقعد رهط أنا فيهم ينتظرون الصلاة الأخرى ، فأقبل رسول الله ﷺ يسرع المشي ، كأني أنظر الى رفعه ازاره كي يكون أخف له في المشي ، فانتهى الينا فقال : « ألا أبشروا ، هذا ربكم أمر بباب في السماء الوسطى – أو قال : باب السماء – ففتحه ، ففاخر بكم الملائكة ، فقال : انظروا الى عبادي أدوا حقاً من حقي ، ثم انتظروا أداء حق آخر يؤدونه » .

حدثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا أبو هلال ، ثنا قتادة قال : قالت بنو إسرائيل : يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض ، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك ؟ قال : اذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم ، واذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري ، قال : حدثني الليث - وهو ابن سعد - قال : حدثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هـلال ، أن زيد بن أسلم حدثه عن عطاء بن يسار ، قال : أتى رجل كعباً وهو في نفر ، فقال: يا أبا إسحاق ! حدثني عن الجبار ، فأعظم القوم قوله . فقال كعب : دعوا الرجل ، فإن كان جاهلا تعلم ، وإن كان عالماً ازداد علمـاً ، ثم قال كعب : أُخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ، ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين السماء الدنيـا والارض ، وكثفهن مثل ذلك ، ثم رفع العرش فاستوى عليه ، فما في السموات سماء إلا لهـــا أطيط كأطيط الرحل العلافي، أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهن [1] .

حدثنـا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث قـال : حدثني عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني سالم بن عبد الله ، أن كعب الأحبار قـال لعمر رضي الله عنه : ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، قال عمر : الا من حاسب نفسه، فقال كعب : إلا من حاسب نفسه، وكبَّر عمر وخرَّ ساجداً .

حدثنـا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، ثنا أبي ، عن نضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سيد السموات ، السماء التي فيهـا العرش ، وسيد الأرضين ، التي نحن عليها ، وسيد الشجر ، العوسج [2] ، ومنه عصا موسى.

حدثنـا القعنبي ، ثنا ثابت بن قيس أبو الغصن، عن أبي سعيـد المقبري ، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قلت : يارسول الله ! رأيتك تصوم من الشهر شيئاً ما لا تصومه من الشهور أكثر ، إلا رمضان ، قال: « أي شهر؟» قلت : شعبان ، قال : « هو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » .

---

(١) هذا مقطوع وموقوف على كعب وهو كعب الأحبار ، والسند اليه لايصح ، وسعيد بن أبي هلال، كان اختلط ، وعبد الله بن صالح المصري فيه ضعف لغفلته وسوء حفظه.

(٢) العوسج : شجر ذو شوك .

حدثنا عثمان ابن أبي شيبـة ، ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ، فاذا كانت صلاة الفجر ، نزلت ملائكة النهار فشهدوا معكم الصلاة ، وصعدت ملائكة الليل ، ومكثت فيكم ملائكة النهار ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما تركتم عبادي يصنعون ؟ فيقولون : جئناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، فاذا كانت صلاة العصر نزلت ملائكة الليل فشهدوا معكم الصلاة ، ثم صعدت ملائكة النهار ، ومكثت معكم ملائكة الليل» -قال- «فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم فيقول : ما تركتم عبادي يصنعون؟» - قال- فيقولون : جئناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » .- قال - فحسبته أنه قال : « فأغفر لهم يوم الدين » .

حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن زر قال : أتيت حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، فقلت : أخبرني عن صلاة رسول الله ﷺ في بيت المقدس ليلة أُسري به ! قال : ما يخبرك ذاك ؟ قلت : القرآن ، فقرأت : (سبحان الذي أسرى بعبده من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى)[1] - قال : هكذا هو في قراءة عبد الله - قال : هل تراه صلى فيه يا أصلع ؟ قلت : لا ، قال : فانه أتاه بدابة - فوصفها عاصم بجهار - فحمله عليها أحدهما رديف صاحبه ، ثم انطلقا ، فأري ما في السموات ، وأري . ثم عادا عودهما على بدئها ، فلم يصل فيه ، ولو صلى فيه لكانت سنة[2] .

حدثنا عمرو بن خالد الحراني ، ثنا ابن لهيعة ، عن بكر بن سوادة ، عن أبي تميم الجيشاني ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا مكث المني في الرحم أربعين ليلة ، أتاه ملك النفوس فعرج به الى الرب في راحته ،

---

(١) سورة الاسراء ، الاية : ١ قال الطبري في « تفسيره » هكذا قرأها حذيفة ابن اليمان ، وعبد الله بن مسعود . وقراءة حفص (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ..)

(٢) اسناده حسن ، وقد صح عن غير حذيفة من الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم صلى ليلة أسري به في المسجد الاقصى ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

فيقول : أي رب ! عبدك هذا ذكر أم أنثى ؟ فيقضي الله اليه ما هو قاض ، ثم يقول : أي رب ! أشقي أم سعيد ؟ فيكتب بين عينيه ما هو لاق - قال - وتلا أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات [١] .

قال أبو سعيد رحمه الله: وإلى من يعرج الملك بالمني ، والله بزعمكم الكاذب في رحم المرأة وجوفها مع المني !

حدثنا عثمان ابن أبي شيبة ، ثنا جرير، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات ، فقال : «إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور لو كشفهما لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره .

قال أبو سعيد رحمه الله : فإلى من ترفع الأعمال ، والله بزعمكم الكاذب مع العامل بنفسه في بيته ومسجده ومنقلبه ومثواه؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين ومن بعدهم في هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا ، غير أنا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولو الألباب ، أن الأمة كلها والأمم السالفة قبلها لم يكونوا يشكون في معرفة الله تعالى أنه فوق السماء ، بائن من خلقه ، غير هذه العصابة الزائغة عن الحق ، المخالفة للكتاب وأثارات العلم كلها ، حتى لقد عرف ذلك كثير من كفار الأمم وفراعنتهم . (قال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى) [٢] واتخذ فرعون إبراهيم النسور والتبوت يرومون الاطلاع الى الله تعالى في السماء ، وذلك لما أن الأنبياء عليهم السلام

---

(١) ضعيف من أجل ابن لهيعة فانه سيء الحفظ

(٢) سورة غافر ، الآيتان : ٣٦،٣٧

كانوا يدعونهم الى الله بذلك ، وقالت بنو إسرائيل : يا رب ! أنت في السماء ، ونحن في الأرض ، وأشباه هذا كثير ، يطول إن ذكرناها .

وظاهر القرآن وباطنه كله يدل على ذلك لا لبس فيـــه ، ولا تأول الا لمتأول جاحد يكابر الحجة وهو يعلم أنها عليه .

قال الله تبارك وتعالى : (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتـاب)[1] وقوله : (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان)[2] وقوله : (حم تنزيل مـــن الرحمن الرحيم)[3] (تنزيل من حكيم حميد)[4] (إنا أنزلناه في ليلة القدر)[5] (انا أنزلناه في ليلة مباركة)[6] (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات)[7] وما أشبه هذا في كتاب الله كثير، كل ذلك دليل على أن الله عز وجل أنزله من السماء من عنده ، ولو كان على مايدعي هؤلاء الزائغة، أنه تحت الأرض وفوقها، كما هو على العرش فوق السماء السابعة ، لقـال جل ذكره في بعض الآيات : إنا أطلعناه اليك ، ورفعناه اليك ، وما أشبهه ، وقال : (ومـــا نتنزل إلا بأمر ربك)[8] و (نزل به الروح الأمين)[9] و (قل نزله روح القدس من ربك بالحق)[10] ولم يقل : ما نخرج من تحت الأرض ، ولا : يصعد منها .

قال أبو سعيد رحمه الله : فظاهر القرآن وباطنه يدل على ما وصفنـا من ذلك ، نستغني فيه بالتنزيل عن التفسير ، ويعرفه العامة والخاصة، فليس منـــه لمتأول تأول إلا لمكذب به في نفسه ، مستتر بالتأويل .

---

(١) سورة الكهف ، الاية : ١
(٢) سورة آل عمران ، الاية : ٣
(٣) سورة فصلت ، الايتان: ١ ، ٢
(٤) سورة فصلت ، الاية : ٤٢
(٥) سورة القدر ، الاية : ١
(٦) سورة الدخان ، الاية : ٢
(٧) سورة النور ، الاية : ١
(٨) سورة مريم ، الاية : ٦٤
(٩) سورة الشعراء ، الاية : ١٩٣
(١٠) سورة النحل ، الاية : ١٠٢

ويلكم ، إجماع من الصحابة ، والتابعين ،وجميع الأمة ، من تفسير القرآن، والفرائض ، والحدود ، والأحكام : نزلت آية كذا في كذا ، ونزلت آية كذا في كذا ، ونزلت سورة كذا في مكان كذا ، لا نسمع أحداً يقول : طلعت من تحت الأرض ، ولا : جاءت من أمام ، ولا : من خلف ، ولكن كله : نزلت من فوق . وما يصنع بالتنزيل من هو بنفسه في كل مكان ؟ إنما يكون شبه مناولة ، لا تنزيلًا من فوق السماء مع جبريل ، إذ يقول سبحانه وتعالى : (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) [1] والرب بزعمكم الكاذب في البيت معه ، وجبريل يأتيه من خارج .هذا واضح ، ولكنكم تغالطون ، فمن لم يقصد بإيمانه وعبادته الى الله الذي استوى على العرش فوق سمواته ، وبان من خلقه ، فإنما يعبد غير الله ، ولا يدري أين الله .

حدثنا مهدي بن جعفر الرملي ، ثنا جعفر بن عبد الله – وكان من أهل الحديث ، ثقة – عن رجل قد سماه لي قال : جاء رجل الى مالك بن أنس ، فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) [2] كيف استوى ؟ – قال – فما رأينا مالكاً وجد من شيء كوجده من مقالته ، وعلاه الرُّحضاء [3] ، وأطرق ، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه – قال – ثم سري عن مالك فقال : الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ، وإني لأخاف أن تكون ضالاً ، ثم أمر به فأخرج .

قال أبو سعيد رحمه الله : وصدق مالك ، لا يعقل منه كيف ولا يجهل منه الاستواء والقرآن ينطق ببعض ذلك في غير آية .

فهذه الأشياء التي اقتصصنا في هذا الباب ، قد خلص علم كثير منها الى النساء والصبيان ،ونطق بكثير منها كتاب الله تعالى،وصدقته الآثار عن رسول الله ﷺ ، وعن أصحابه والتابعين ، وليس هذا من العلم الذي يشكل على

---

(١) سورة النحل،الاية : ١٠٢ (٢) سورة طه ، الاية : ٤

(٣) الرحضاء : العرق إثر الحمى ، أو عرق يغسل الجلد كثرة .

أحد من العامة والخاصة ، إلا على هذه العصابة الملحدة في آيات الله ، لم يزل العلماء يروون هذه الآثار ، ويتناسخونها ، ويصدقون بها على ما جاءت ، حتى ظهرت هذه العصابة ، فكذبوا بها أجمع ، وجهلوهم ، وخالفوا أمرهم ، خالف الله بهم.

ثم ما قد روي في قبض الأرواح ، وصعود الملائكة بها الى الله تعالى من السماء ، وما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصته حين أسري به فعرج به الى سماء بعد سماء ، حتى انتهي به الى السدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق فوق سبع سموات ، ولو كان في كل مكان كما يزعم هؤلاء ، ما كان للاسراء ، والبراق ، والمعراج إذاً من معنى ، وإلى من يعرج به الى السماء ، وهو بزعمكم الكاذب معه في بيته في الأرض ليس بينه وبينه ستر ، تبارك اسمه ، وتعالى عما تصفون .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري قال : حدثني الليث – يعني ابن سعد – قال : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال . كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل فعرج بي الى السماء الدنيا ، فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن سماء الدنيا : افتح ! قال : من هذا ؟ قال : هذا جبريل ، قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم معي محمد ، قال : أرسل اليه ؟ قال : نعم ، – قال – فافتتح ، فلما علونا السماء الدنيا.. » . وساق الحديث الى قوله – قال أنس – فذكر أنه وجد في السموات آدم ، وإدريس ، وموسى ، وعيسى ، وإبراهيم .

قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم ، أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري رضي الله عنهما يقولان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم عرج بي ، حتى ظهرت لمستوى اسمع صريف الأقلام » – قال – : « ثم انطلق بي حتى انتهي بي الى سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي» .

حدثنا أحمد بن صالح ، عن ابن وهب ، عن يونس بإسناده نحو معناه .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبة أبو بكر ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، أنزل الله اليه من السماء ملائكة ..» . وساق الحديث قال : « فيخرج روحه فيصعدون به ، حتى ينتهوا به الى السماء ، فيستفتح فيفتح له ، حتى ينتهى به الى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين في في السماء السابعة ، وأعيدوه الى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، وأما الكافر» قال : « ينتهى به الى السماء الدنيا ، فيستفتحون فلا يفتح له » ثم قرأ : (لا تفتح لهم ابواب السماء) [1] الآية - قال - « فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى ، وأعيدوه الى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فيطرح طرحاً ....» . وساق الحديث بطوله .

قال ابو سعيد : ففي قوله تبارك وتعالى : (لا تفتح لهم أبواب السماء)[1] دلالة ظاهرة أن الله عز وجل فوق السماء ، لأن أبواب السماء إنما تفتح لأرواح المؤمنين ، ولرفع أعمالهم إلى الله عز وجل منها ، ولما سوى ذلك مما يشاء الله تعالى ، فاذا كان مع الميت والعامل بنفسه في الأرض ، فالى من يعرج بأرواحهم وأعمالهم .؟! ولمَ تفتح أبواب السماء لقوم ، وتغلق عن آخرين ، إذا كان الله بزعمكم في الأرض؟ وما منزلة قول الله عز وجل عندهم إذ (لا تفتح لهم أبواب السماء) ؟

فمن آمن بهذا القرآن الذي احتججنا منه بهذه الآيات ، وصدق هذا الرسول الذي روينا عنه هذه الروايات ، لزمه الاقرار بأن الله بكماله فوق

---

(١) سورة الاعراف ، الاية : ٤٠ وتمامها : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين » .

عرشه ،فوق سماواته،وإلا فليحتمل قرآنا غير هذا ، فإنه غيرمؤمن بهذا .

ومما يحقق قولنا ، ويبطل دعواهم ، احتجاب الله عز وجل من الخلق فوق السموات العلى .

باب الإحتجاب

قال الله تبارك وتعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) (١) .

حدثنا علي بن المديني ، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري ثم السلمي ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش ابن الصمة الانصاري ثم السلمي يقول : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا جابر ! ما لي أراك مهتماً ؟ » — قال — قلت : استشهد أبي وترك ديناً عليه وعيالاً ، فقال : «ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحاً ، فقال : يا عبدي تمنّ عليّ أعطك .» . وساق علي الحديث .

حدثنا عمرو بن عون الواسطي ،أنبأ هُشيم ،عن داود ، عن الشعبي قال: ثنا مسروق قال : بينا أنا عند عائشة أم المؤمنين ، فقالت : يا أبا عائشة ! من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، وتلت : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (٢) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) (١) .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ،

---

(١) سورة الشورى ، الاية : ٥١ (٢) سورة الانعام الاية : ١٠٣

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع فقال : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » .

حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي ، أنبأ أبو إسحاق الفزاري ، عن سفيان ، عن عبيد المكتّب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : احتجب الله من خلقه بأربع : بنار ، وظلمة ، ونور ، وظلمة(1) .

حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة : ثنا حماد – وهو ابن سلمة – قال : أنبأ أبو عمران الجوني ، عن زرارة بن أوفى ، أن النبي ﷺ سأل جبريل : « هل رأيت ربك ؟ فانتفض جبريل وقال : يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور ، لو دنوت من أدناها لاحترقت » .

قال أبو سعيد : من يقدر قدر هذه الحجب التي احتجب الجبار بها ؟ ومن يعلم كيف هي غير الذي أحاط بكل شيء علماً ؟ (وأحصى كل شيء عدداً)(2)

ففي هذا أيضاً دليل أنه بائن من خلقه ، محتجب عنهم ، لا يستطيع جبريل مع قربه إليه الدنو من تلك الحجب ، وليس كما يقول هؤلاء الزائغة : إنه معهم في كل مكان ، ولو كان كذلك ما كان للحجب هناك معنى ، لأن الذي هو في كل مكان لا يحتجب بشيء من شيء ، فكيف يحتجب من هو خارج الحجاب كما هو من ورائه ؟! فليس لقول الله عز وجل : (من وراء حجاب)(3) عند القوم مصداق .

والآثار التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزول الرب تبارك وتعالى تدل على [أن] الله عز وجل فوق السموات على عرشه ، بائن من خلقه .

---

(1) إسناده صحيح ، ولكنه موقوف . « 2 » سورة الجن ، الاية : 28

(3) سورة الشورى ، الاية : 51

باب النزول

قال أبو سعيد رحمه الله : فمما[1] يعتبر به من كتاب الله عز وجل في النزول ويحتج به على من أنكره ، قوله تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)[2] وقوله : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[3] وهذا يوم القيامة اذا نزل الله ليحكم بين العباد ، وهو قوله : (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمان وكان يوماً على الكافرين عسيراً)[4] فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها ليفصل بين عباده ، قادر أن ينزل كل ليلة من سماء الى سماء ، فان ردوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في النزول ، فماذا يصنعون بقول الله عز وجل ، تبارك وتعالى؟

حدثنا عمرو بن عون الواسطي ، أنبأ أبو عوانة ، عن أبي إسحاق ، عن الاغر أبي مسلم قال : أشهد على أبي سعيد ، وأبي هريرة رضي الله عنهما ، أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله يمهل ، حتى إذا ذهب ثلث الليل هبط فقال : من تائب فيتاب عليه من داعٍ فيستجاب له ؟ من مستغفر؟ من مذنب[5] ؟ من سائل فيعطى؟ »

حدثنا يحيى بن بكير المصري ، ثنا مالك — وهو ابن أنس — عن ابن شهاب ، عن أبي عبد الله الأغر ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني

---

(١) في الاصل : فما (٢) سورة البقرة ، الاية : ٢١٠

(٣) سورة الفجر ، الاية : ٢٢ (٤) سورة الفرقان ، الايتان : ٢٦، ٢٧

(٥) في الاصل : ذنب .

أستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ ومن يستغفرني فأغفر له ؟ » .

قال أبو سعيد : وزادني فيه أحمد بن صالح ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب باسناده . قال : وقال هشام الدستوائي : عن يحيى - وهو ابن أبي كثير - عن هلال ابن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، أن رفاعة الجهني حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مضى ثلث الليل - أو شطر الليل - أو ثلثا الليل - ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي أحداً غيري ، من يستغفرني أغفر له ؟ من يدعوني أستجيب له ؟ ومن يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الصبح » .

حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري ، أنبأ الليث - يعني ابن سعد - قال : حدثني زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي الدرداء رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تبارك وتعالى [ينزل] في ثلاث ساعات من الليل يفتح الذكر ، [فينظر الله] في الساعة الأولى [منهن في الكتاب الذي] لم يره غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، ثم ينزل في الساعة الثانية الى جنة عدن ، وهي داره التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك ! ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته ، فتنتفض فيقول : قومي بعزتي ! ثم يطلع الى عباده فيقول : هل من مستغفر أغفر له ؟ وهل من داع أجيب ؟ حتى تكون صلاة الفجر » ولذلك يقول : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) [1] يشهده الله وملائكة الليل والنهار » [2] .

---

(١) سورة الاسراء ، الاية : ٧٨ (٢) منكر بهذا السياق ، وآفته زيادة بن محمد ، وهو واه كما تقدم ص ٢٣ وقد ساق الذهبي في ترجمته هذا الحديث ثم قال : « فهذه الفاظ منكرة ، لم يأت بها غير زيادة » وكان في الاصل سقط استدركناه من الميزان .

حدثنا حفص بن عمر النمري أبو عمر الحوضي، ثنا هشام – وهو الدستوائي – عن يحيى – وهو ابن أبي كثير – عن أبي جعفر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا بقي – أو قال: مضى – ثلث الليل ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسترزقني فأرزقه؟ من يسألني فأعطيه! من يستكشف الضر أكشفه عنه؟ حتى ينفجر الصبح».

حدثنا عمرو بن عون الواسطي، أنبأ خالد – يعني عبد الله – عن الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يفتح أبواب السماء في ثلث الليل، فيهبط إلى السماء الدنيا، فيبسط يديه فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه؟ إلى طلوع الفجر».

حدثنا عبد العزيز بن يوسف الحراني أبو الأصبغ قال: حدثني محمد – يعني ابن سلمة الحراني – عن محمد بن إسحاق، عن سعيد المقبري، عن عطاء مولى أم صبية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، ولأخرت العشاء الآخرة حتى يذهب ثلث الليل، فإنه إذا ذهب ثلث الليل الأول، هبط الله إلى السماء الدنيا، فلا يزال بها حتى يطلع الفجر، يقول قائل: ألا من سائل فيعطى؟ ألا من داع فيستجاب له؟ ألا من مريض يستشفي فيشفى؟ ألا من مذنب يستغفر فيغفر له؟».

حدثنا عمرو بن محمد الناقد، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه عن أبي إسحاق باسناده نحوه. قال عمرو: وثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق قال: وحدثني عمي عبد الرحمن بن يسار، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة ، عن طارق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله يمهل ، حتى إذا مضى ثلث الليل ، هبط إلى سماء الدنيا ثم قال: «هل من تائب فيتاب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل يعطى ؟» .

حدثنا الزهراني أبو الربيع ، ثنا حماد – يعني ابن زيد – عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير قال : إذا مضى ثلث – أو: بقي نصف – الليل[1] ينزل الله عز وجل الى سماء الدنيا فيقول : «من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ »

باب النزول ليلة النصف من شعبان

حدثنا الأصبغ بن الفرج المصري قال : أخبرني ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن عبد الملك ، عن مصعب بن أبي الحارث ، عن القاسم بن محمد ابن أبي بكر ، عن أبيه – أو : عن عمه – عن جده أبي بكر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لكل نفس إلا مشرك بالله ومشاحن »[2] .

باب النزول يوم عرفة

حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة ، وعلي بن عثمان اللاحقي قالا : ثنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن عاصم بن أبي النجود قال : قالت أم سلمة رضي الله عنها : نعم اليوم يوم عرفة ، ينزل فيه رب العزة إلى السماء الدنيا .

---

(١) الاصل « ثلث الليل – أو بقي نصف » (٢) إسناده ضعيف من أجل عبد الملك هذا ، ولكن للحديث شواهد يرقى بها الى درجة الحسن أو الصحة .

باب نزول الرب تبارك وتعالى يوم القيامة للحساب

حدثنا نعيم بن حماد ، عن إبراهيم بن سعد ،عن ابن شهاب ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه » وساق الحديث [illegible] . « وتبقى هذه الأمة ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله عز وجل فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه » وساق نعيم الحديث إلى آخره .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ عن ثابت ، وحميد ، وعلي بن زيد ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يأتينا ربنا يوم القيامة ونحن على مكان رفيع ، فيتجلى لنا ضاحكاً » .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ سليمان التيمي ، عن أبي نضرة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ينادي مناد بين يدي الساعة : أتتكم الساعة ، حتى يسمعها كل حي وميت ، ـ قال ـ فينادي المنادي : (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) [1] .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري قال : حدثني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال وتلا هذه الآية : (يوم تبدل الأرض غير الأرض) [2] قال : يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا ، ينزل عليها الجبار تبارك وتعالى .

---

(١) سورة غافر ، الاية : ١٦ (٢) سورة ابراهيم ، الاية : ٤٨

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في هـذه الآ ية : (يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) [1] قال : ينزل أهل سماء الدنيا وهم أ كثر من أهل الأرض ومن الجن والانس، فيقول أهل الأرض : أفيكم ربنا؟ فيقولون : لا وسيأتي ، ثم تشقق السماء الثانيـة. وساق أبو سلمة[2] الحديث إلى السماء السابعة ــ قال ــ فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون لا وسيأتي ، ثم يأتي الرب تبارك وتعالى في الكروبيين وهم أ كثر من أهل السموات والأرض .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة ، ثنا الأجلح ، ثنا الضحاك بن مزاحم ، قال : إن الله يأمر السماء يوم القيامة فتنشق بمن فيها ، فيحيطون بالأرض ومن فيها ، ويأمر السماء الثانية ، حتى ذ كر سبـع سموات ، فيكونون سبعة صفوف قد أحاطوا بالناس ــ قال ــ ثم ينزل الله في بهائه وجماله ، ومعه ما شاء من الملائكة على مجنبته اليسرى جهنم ، فإذا رآها الناس تلظى ، وسمعوا زفيرها وشهيقها ، ند الناس في الأرض ، فلا يأتون قطراً من أقطارها الا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، وذلك قوله عز وجل: (يوم التناد)[3] يقول : يند الناس فيقول الله عز وجل : (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) [4] وذلك قوله عز وجل: (إذا دكت الأرض دكاً دكاً ، وجاء ربك والملك صفاً صفاً ، وجيء يومئـذ بجهنم) [5] (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكـــة تنزيلا) [6] (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها)[7] ، ـ قال ـ قلت له : ما أرجاؤها؟ قال: حافتها)[8].

---

(١) سورة الفرقان، الاية : ٢٦

(٢) هو حماد بن سلمة موسى بن اسماعيل

(٣) سورة غافر ، الاية : ٣٢

(٤) سورة الرحمن ، الاية : ٣٣

(٥) سورة الفجر ، الايات: ٢١-٢٣

(٦) سورة الفرقان ، الاية : ٢٥

(٧) سورة الحاقة ، الايتان: ١٦، ١٧

(٨) هذا مقطوع، واسناده ضعيف .

باب نزول الله لأهل الجنة

حدثنا هشام بن خالد الدمشقي وكان ثقة ، ثنا محمد بن شعيب — وهو ابن شابور — أنبأ عمر بن عبد الله مولى غفرة [1] قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل وفي يده كهيئة المرآة البيضاء ، وفيها نكتة سوداء . قلت : ما هذه يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة بعث بها اليك ربك تكون عيداً لك ولأمتك من بعدك ، قلت : وما لنا فيها ؟ قال: لكم فيها خير كثير ، أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة ، وفيها ساعة لا يوافقها عبد يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، قلت : ما هذه النكتة السوداء؟ قال : هذه الساعة تكون يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام ، ونحن نسميه عندنا يوم المزيد ، قلت : وما المزيد يا جبريل؟ قال : ذلك بأن ربك اتخذ في الجنه وادياً أفيح من مسك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب تبارك وتعالى عن عرشه الى كرسيه ، وحف الكرسي بمنابر من نور ، فيجلس عليها النبيون ، وحف المنابر بكراسي من ذهب ، فيجلس عليها الصديقون

---

(١) فيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات ، وله طريق أخرى تأتي بعده . (تنبيه) هنا في الأصل تعليق نصه: « في الاصل: عفرة » ومثله تعليقاً على الحديث نفسه فيما يأتي ص ٥٨ ويعني المعلق أن الاصل خطأ ، وليس كذلك ، بل هو غفلة منه عن طريقة الكتابة قديماً ، فانهم جروا في الغالب على إهمال إعجام الحروف المعجمة ، وإذا كان الحرف مهملاً وضعوا فوقه مايشبه رقم (٧) صغيراً ، و « غفرة » تكتب عندهم « عفرة » باهمال إعجام العين ، و « عفرة » يكتبونها هكذا : « عفرة » وكذلك السفر يكتبونها « السفر » بحيث يشتبه على بعض الجهال فيقرأها « الشفر » بالشين ! فليتنبه لهذا من قد يقع تحت يده مخطوط قديم .

والشهداء ، ويهبط أهل الغرف من غرفهم ، فيجلسون على كثبان المسك ، لا يرون لأهل المنابر والكراسي عليهم فضلاً في المجلس ، ثم يتبدى لهم ذو الجلال والإكرام فيقول : سلوني ! فيقولون بأجمعهم : نسألك الرضا ، فيشهدهم على الرضا، ثم يسألونه حتى تنتهي نهية[1] كل عبد منهم ، ثم يسعى عليهم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، ثم يرتفع الرب عن كرسيه الى عرشه، ويرتفع أهل الغرف الى غرفهم ، وهي غرفة من لؤلؤة بيضاء ، أو زبرجدة خضراء ، أو ياقوتة حمراء ، ليس فيها قصم ولا وصم ، مطردة ، فيها أنهارها متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ومساكنها ، فليس أهل الجنة الى شيء أشوق منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا قرباً من الله ورضواناً » .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا جرير ، عن ليث[2] ، عن عثمان بن أبي حميد ، عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أتاني جبريل في كفه كالمرآة البيضاء ، فيها كالنكتة السوداء ، فقلت : ما هذا الذي في يدك ؟ قال : الجمعه ، قلت : وما الجمعة ؟ قال : لكم فيها خير ، وهو عندنا سيد الايام ، ونحن نسميه يوم القيامة المزيد ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : لأن الرب تبارك وتعالى اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعة ينزل على كرسيه من عليين — أو نزل من عليين على كرسيه — ثم حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجيء النبيون حتى يجلسوا على ذلك الكثيب ، ثم يتجلى لهم ربهم فيقول . أنا الذي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي ، فسلوني ! » وساق عثمان بن أبي شيبة الحديث الى قوله : « وذلك مقدار منصرفهم من الجمعة ، ثم يرتفع الى عرشه عن كرسيه ، ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء — أو : النبيون والشهداء والصديقون — ويرجع أهل الغرف الى غرفهم » .

---

(١) في « اللسان » : «النهية — بضم النون — والنهاية غاية كل شيء وآخره ،وذلك لأن آخره ينهاه عن التمادي فيرتدع » . (٢)هو ابن أبي سليم،وهو ضعيف، وشيخه لم أعرفه.

حدثنا عبد الله بن صالح المصري[1] قال: حدثني حرملة بن عمران، عن سليمان بن حميد قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز قال: فاذا فرغ الله عز وجل من أهل الجنة والنار، أقبل الله عز وجل (في ظلل من الغمام والملائكة)[2] فسلم على أهل الجنة في أول درجة، فيردون عليه السلام – قال القرظي – وهذا في القرآن (سلام قولاً من رب رحيم)[3] فيقول: سلوني! – قال – ففعل ذلك بهم في درجهم حتى يستوي في مجلسه، ثم يأتيهم التحف من الله تحملها الملائكة اليهم.

قال ابو سعيد: فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم برد، وتشمروا لدفعها بجد، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلف كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلا أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والايمان بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزوله واجب، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل؟! وهم يسألون، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله تعالى عليه: كيف يصنع؟! وكيف قدر؟! ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءاً إذ خلقها، كايمان المصلين به، لقلنا لكم: ليس نزوله من سماء الى سماء بأشد عليه ولا بأعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءاً، فكما قدر على الأولى منها كيف

---

(١) فيه ضعف كما تقدم، وسليمان بن حميد لم أعرفه.

(٢) سورة البقرة، الاية: ٢١٠ (٣) سورة يس، الاية: ٥٨

يشاء ، فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء .

وليس قول رسول صلى الله عليه وسلم في نزوله بأعجب من قول الله تبارك وتعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)[1] ومن قوله : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[2] فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك ، فهذا الناطق من قول الله عز وجل ، وذاك المحفوظ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخبار ليس عليها غبار ، فإن كنتم من عباد الله المؤمنين ، لزمكم الايمان بها كما آمن بها المؤمنون ، وإلا فصرحوا بما[3] تضمرون ، ودعوا هذه الأغلوطات التي تلوون بها ألسنتكم ، فلئن كان أهل الجهل في شك من أمركم ، ان أهل العلم من أمركم لعلى يقين .

قال : فقال قائل منهم : معنى إتيانه في ظلل من الغمام ، ومجيئه والملك صفاً صفاً ، كمعنى كذا وكذا .

قلت : هذا التكذيب بالآية صراحاً ، تلك معناها بين للأمة ، لا اختلاف بيننا وبينكم وبين المسلمين في معناها المفهوم المعقول عند جميع المسلمين ، فأما مجيئه يوم القيامة ، وإتيانه في ظلل من الغمام والملائكة ، فلا اختلاف بين الأمة أنه انما يأتيهم يومئذ كذلك لمحاسبتهم ، وليصدع بين خلقه ويقررهم بأعمالهم ويجزيهم بها ، ولينصف المظلوم منهم من الظالم ، لا يتولى ذلك أحد غيره تبارك اسمه وتعالى جده ، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب .

ولكن إن كنتم محقين في تأويلكم هذا وما ادعيتم من باطلكم — ولستم كذلك — فأتوا بحديث يقوي مذهبكم فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بتفسير تأثرونه صحيحاً عن أحد من الصحابة أو التابعين ، كما أتيناكم به عنهم نحن لمذهبنا ، وإلا فمتى نزلت الجهمية من العلم بكتاب الله وبتفسيره المنزلة التي

---

(١) سورة البقرة ، الاية : ٢١٠ (٢) سورة الفجر ، الاية : ٢٢

(٣) في الأصل : مما

يجب على الناس قبول قولهم فيه ، وترك ما يؤثر من خلافهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وعن التابعين بعدهم .

هذا حدث كبير في الإسلام ، وظلم عظيم أن يتبع تفسيركم كتاب الله بلا أثر ، ويترك المأثور فيه ، الصحيح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم ؟!

ومتى ما قدرتم أن تجامعوا أهل العلم في مجالسهم ، أو تنتحلوا شيئاً من العلم في آباد الدهر إلا منافقة واستتاراً ، حتى تتقلدوا اليوم من تفسير كتاب الله ما كان يتوقى أوضح منه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لقد عدوتم طوركم ، وأنزلتم أنفسكم المنزلة التي بعّدكم الله منها ثم المسلمون .

ولو لم يوجد فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه خبر ولا أثر لم تكونوا مؤتمنين على كتاب الله وتفسيره أن يلتفت الى شيء من أقاويلكم أو يعتمد على شيء من تفسيركم كتاب الله ، لما ظهر للأمة من إلحادكم ، فكيف إذا هم خالفوكم ؟!

قال أبو سعيد رحمه الله : ومما يرد هذا ويبطله قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك)[1] الآية ، فهذا مما يحقق دعوانا ويبطل دعواكم التي تخرصتموها عدواً بغير علم في إتيان الله تعالى ومجيئه يوم القيامة والملك صفاً صفاً .

فإن أبيتم إلا لزوماً لتفسيركم هذا ، ومخالفة لما احتججنا به من كتاب الله وآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه ليس لكم من الرسوخ في العلم والمعرفة بالكتاب والسنة ما يعتمد فيه على تفسيركم لو قد أصبتم الحق ، فكيف اذا أنتم أخطأتموه ؟

---

(١) سورة الانعام ، الاية : ١٥٨ وتمامها : (يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون) .

ولكن بيننا وبينكم حجة واضحة يعقلها من شاء الله من النساء والولدان: ألستم تعلمون أنا قد أتيناكم بهذه الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين، منصوصة صحيحة عنهم، أن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا، وقد علمتم يقيناً أنا لم نخترع هذه الروايات، ولم نفتعلها، بل رويناها عن الأئمة الهادين الذين نقلوا أصول الدين وفروعه الى الأنام، وكانت مستفيضة في أيديهم، يتنافسون فيها، ويتزينون بروايتها، ويحتجون بها على من خالفها. قد علمتم ذلك ورويتموها كما رويناها إن شاء الله، فأتوا ببعضها، أنه لا ينزل منصوصاً كما روينا عنهم النزول منصوصاً حتى يكون بعض ما تأتون به ضداً لبعض ما أتيناكم به، وإلا لم يدفع إجماع الأمة وما ثبت عنهم في النزول منصوصاً بلا ضد منصوص من قولهم، أو من قول نظرائهم، ولم يدفع شيء بلا شيء، لأن أقاويلهم وروايالتهم شيء لازم، وأصل منيع، وأقاويلكم ريح ليست بشيء. ولا يلزم أحداً منها شيء إلا أن تأتوا فيها بأثر ثابت مستفيض في الأمة، كاستفاضة ما روينا عنهم، ولن تأتوا به أبداً. هذا واضح بين يعقله كثير من ضعفاء الرجال والنساء، وتعقلونه أنتم ان شاء الله، فإنه ليس لكم من الغفلة كل ما لا تعلمون أن هذه الحجج آخذة بحلوقكم، غير أنكم تقصدون شيئاً (١) لا ينقاد الا بدفع هذه الحجج والآثار كلها، تزعمون أن إلهكم الذي كنتم تعبدون في كل مكان، واقع على كل شيء، لا حد له، ولا منتهى عندكم، ولا يخلو منه مكان بزعمكم.

ثم قلتم: إنما يوصف بالنزول من هو في مكان دون مكان، فكيف ينزل الى مكان ؟!

قلنا: هذه صفة خلاف صفة رب العالمين، ولا نعرف بهذه الصفة شيئاً إلا هذا الهواء الداخل في كل مكان، النازل على كل شيء، فإن لم يكن ذلك إلهكم الذي تعبدون، فقد غلبكم عن عبادة الله رأساً، وصرتم في عبادة ما تعبدون

(١) في الاصل: قصد شيء.

أسوأ منزلة من عبادة الأوثان وعبادة الشمس والقمر، لأن كل صنف منهم عبد شيئاً هو عند الخلق شيء، وعبدتم أنتم شيئاً هو عند الخلق لا شيء، لأن الكلمة قد اتفقت من الخلق كلهم أن الشيء لا يكون إلا بحدٍّ وصفة وأن لا شيء ليس له حد ولا صفة فلذلك قلتم: لا حدَّ له، وقد أكذبكم الله تعالى، فسمى نفسه: أكبر الأشياء، وأعظم الأشياء، وخلاَّق الأشياء. قال تعالى: (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم)[1] وقال: (كل شيء هالك إلا وجهه)[2] فهو سمى نفسه: أكبر الأشياء، وأعظم الأشياء، وخلاَّق الأشياء، وله حد، وهو يعلمه لا غيره.

حدثنا الحسن بن الصباح البزاز البغدادي، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك أنه سئل: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق العرش، فوق السماء السابعة على العرش، بائن من خلقه، - قال - قلت بحد؟ قال: فبأي شيء؟!

قال أبو سعيد رحمه الله: والحجة لقول ابن المبارك رحمه الله، قول الله تبارك وتعالى: (وترى الملائكة حافين من حول العرش)[3]، فلماذا يحفون حول العرش إلا لأن الله عز وجل فوقه، ولو كان في كل مكان لحفوا بالأمكنة كلها لا بالعرش دونها، ففي هذا بيان بين للحد، وأن الله فوق العرش، والملائكة حوله حافون[4] يسبحون

(١) سورة الانعام، الاية: ١٩

(٢) سورة القصص، الاية: ٨٨

(٣) سورة الزمر، الاية: ٧٥

(٤) هذا قد يوهم إحاطة الملائكة بالله تبارك وتعالى، ومن المقطوع به لدى السلف والخلف أنه لا يحيط به تعالى شيء، بل إنه هو بكل شيء محيط، كما صرح به القرآن الكريم، فلكم كنت أود أن لا يتوسع المؤلف رحمه الله تعالى في الاستنباط والتفصيل في أمور الغيب، خاصة ما كان منها متعلقاً بالله تبارك وتعالى، فاني لا أعتقد أن مثل هذا التوسع له صلة بمذهب السلف من قريب أو بعيد، ومراد المبارك من جوابه واضح، وهو أن الله ليس حالاً في خلقه، بل هو بائن منهم. وهو حق بين.

ويقدسونه ، ويحمل عرشه بعضهم . قال الله تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم)[1] .

قال أبو سعيد رحمه الله : فسمعت محتجاً يحتج عنهم في إنكارهم الحد والنزول ، وفي قولهم : هو في كل مكان ، بحديث : أربعة أملاك التقوا : أحدهم جاء من المشرق ، والآخر من المغرب ، والثالث من السماء ، والرابع من الأرض . فقالوا أربعتهم : جئنا من عند الله ، فقلت : إنّ أفلس الناس من الحديث ، وأفقرهم فيه ، الذي لا يجد من الحديث ما يدفع به تلك الأحاديث الصحيحة المشهورة في تلك الأبواب إلا هذا الحديث ، وهو أيضاً من الحديث أفلس ، لأن هذا الحديث لو صح كان عليه لا له ، فالحمد لله إذ ألجأتهم الضرورة الى هذا وما أشبهه ، لأنهم لو وجدوا حديثاً منصوصاً في دعواهم لاحتجوا به لا بهذا ، ولكن حين أيسوا من ذلك وأعياهم طلبه ، تعلقوا بهذا الحديث المشتبه على جهال الناس ، ليروجوا بسببه عليهم أغلوطة ، وسنبين لهم ما اشتبه عليهم من هذا الحديث إن شاء الله ، حتى يعلموا أنه عليهم لا لهم .

قلنا : هذا الحديث لو صح لكان معناه مفهوماً معقولاً لا لبس له أنهم جاؤوا كلهم من عند الله كما قالوا ، لأن الله تعالى على عرشه ، فوق سمواته ، وسمواته فوق أرضه كالقبة ، وكما وصف رسول الله ﷺ[2] ، فهو ينزل ملائكة من عنده ، وملائكة بالمغرب ، وملائكة الى تخوم الأرض ، للأمر من أموره ، ولرحمته ، ولعذابه ، ولما يشاء من أموره . فلو أنزل أحد هؤلاء الأربعة بالمشرق ، والثاني بالمغرب ، والثالث أنزله من السماء الى تخوم الأرض للأمر من أموره ، ثم عرجوا منها ، والتقوا جميعاً في ملتقى من الأرض مع

---

(١) سورة غافر ، الاية : ٧

(٢) يعني حديث جبير بن مطعم المتقدم (ص ٢٤) ، لكنه حديث ضعيف ، كما سبق بيانه هناك .

رابع ، نزل من ملتقاهم من السماء فسئلوا جميعاً من أين جاؤوا . فقالوا جميعاً : جئنا من عند الله ، لكان المعنى فيه صحيحاً على مذهبنا ، لا على مذهبكم ، لأن كلًا بعثهم الله تعالى من السماء ، و كلًا نزلوا من عنده في مواطن مختلفة . ولو نزل مائة الف ملك في مائة الف مكان من الأرض، لجاؤوا من عند الله . وإنما قيل : من عند الله لأن الله تبارك وتعالى فوق السماء ، والملائكة في السموات ، وبعضهم حافون بعرشه ، فهم أقرب الى عرش الرحمن من أهل الأرض . ومما يبين ذلك قوله تعالى : (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)[1] ، ففي هذه الآية بيان لتحقيق ما ادعينا للحد ، فانه فوق العرش بائن من خلقه ، ولإبطال دعوى الذين ادعوا أن الله في كل مكان ، لأنه لو كان في كل مكان ما كان لخصوص الملائكة أنهم (عند ربك لا يستكبرون عن عبادته)[1] معنىً ، بل كانت الملائكة والجن والأنس وسائر الخلق كلهم عند ربك في دعواهم بمنزلة واحدة ، إذ لو كان في كل مكان ، إذاً[2] لذهب معنى قوله: (لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)[1] ، لأن أكثر أهل الأرض من الجن والانس من يستكبر عن عبادته ولا يسجد له ، ولكن خص الله بهذه الصفة الملائكة الذين هم عنده في السموات ، فأرطئوا بهذه الآية ، واقرعوا بها رؤوسهم عند دعواهم : إن الله في كل مكان فإنها آخذة بحلوقهم ، لا مفر لهم منها إلا بجحود ، فإن أقروا أنهم من الملائكة الذين عنده دون من سواهم ، فقد أصابوا ما أراد الله ، ونقضوا قولهم : إن الله في كل مكان ، وأقروا له بالحد ، وأنه فوق السموات ، والملائكة عنده (لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)[1] ، وإن لم يقروا به كانوا بذلك جاحدين لتنزيل الله تعالى ، ويلزمهم في دعواهم أن يشهدوا لجميع عبدة الأوثان ، وعبدة الشمس والقمر ، والجن

---

(١) سورة الاعراف ، الاية : ٢٠٦

(٢) في الاصل : إن لو كان في كل مكان وإذاً .

والانس ، وكفرة أهل الكتابين؛والمجوس أنهم كلهم (عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) [1] لأن الله تعالى قد أخبر أن الذين عنده كذلك صفاتهم ، فإن يكن الخلق كلهم في دعواهم عنده ، وهو عندهم ، وكل يسبح له ، ويسجد له ، ولا يستكبر عن عبادته ، ومن قال هذا فقد كفر بكتاب الله ، وجحد بآيات الله، لأن الله تعالى وصف الملائكة الذين عنده بهذه الصفة ، ووصف كفار الجن والانس وعبدة الأوثان بالعتو والاستكبار عن عبادته والنفور عن طاعته . قال تعالى : (لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً) [2] (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا) [3] فافهموا هذه الآية فانها قاطعه لحججهم .

باب الرؤية

قال أبو سعيد رحمه الله : قال الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) [4] وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) [5] ، ففي هذا دليل أن الكفار كلهم محجوبون عن النظر الى الرحمن عز وعلا ، وأن أهل الجنة غير محجوبين عنه .

قال رسول الله ﷺ : « أيما والد جحد ولده احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين » .

حدثناه يحيى الحماني ، [6] ثنا عبد العزيز – يعني الدراوردي – عن يزيد

(١) سورة الاعراف ، الاية : ٢٠٦ (٢) سورة الفرقان ، الاية : ٢١
(٣) سورة الفرقان ، الاية : ٦٠ (٤) سورة القيامة، الايتان: ٢٢، ٢٣
(٥) سورة المطففين ، الايات ١٥ – ١٧
(٦) هو يحيى بن عبدالحميد الكوفي، وفيه ضعف مع حفظه ، حتى لقد كذبه أحمد وغيره . وعبد الله بن يونس مجهول، قال الذهبي: ما حدث عنه سوى يزيد بن الهاد .

ابن الهاد ، عن عبد الله بن يونس سمع المقبري يحدث قال : حدثني أبو هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقوله .

قال أبو سعيد : ففي هذا الحديث دليل أنه إذا احتجب عن بعضهم لم يحتجب من بعض . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سترون ربكم عز وجل كما ترون الشمس والقمر » ، فلم يدع لمتأول فيه مقالاً .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب – وهو الحناط – قال : أخبرني إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع رأسه الى السماء ليلة البدر ، فنظر الى القمر فقال : « أما انكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » .

حدثنا بنحوه ابن المديني ، عن سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس ابن أبي حازم ، عن جرير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال علي بن المديني : هي عندنا صلاة العصر ، وصلاة الصبح إن شاء الله تعالى . قال : حدثنا به ستة عن إسماعيل : سفيان ، وهشيم ، ووكيع ، والمعتمر ، وغيرهم . قال علي : لا يكون الاسناد أجود من ذا .

حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي أبو عبد الله البصري ، وأبو سلمة واللفظ لمحمد ، قالا : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[1] قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، ودخل أهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٢٦

أن ينجز كموه » – قال – « فيقال: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، وأدخلنا الجنة، وأجارنا من النار؟ » – قال – « فيكشف الحجاب فيتجلى لهم تبارك وتعالى ». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « والذي نفسي بيده، ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم، ولا أقر لأعينهم، من النظر الى وجـــه الله تبارك وتعالى ».

حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد – يعني ابن سلمة –: ثنا يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس،[1] عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله! أكلنا يرى ربه يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ – قال – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا أبا رزين! أليس كلكم يرى القمر مخلياً به؟ » قلت: بلى، قال: فالله أعظم ».

حدثنا نعيم بن حماد، ثنا إبراهيم – وهو ابن سعد – عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: « هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ » قالوا: لا، قال: « فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ » قالوا: لا، قال: « فكذلك ترون ربكم يوم القيامة، إن الله يجمع الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ». وساق الحديث إلى قوله: « هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فاذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه » قال

---

(١) بضم المهملتين، ويقال: عدس. على وزنه إلا أنه بعين مهملة، قال الذهبي: وكيع بن عدس لا يعرف، تفرد عنه يعلى بن عطاء. قلت: فالحديث لا يصح، ولو أنه اشتهر في كتب أصول السنة.

عطاء بن يزيد في آخر الحديث : قال أبو سعيد - يعني الخدري - وهو مع أبي هريرة رضي الله عنهما حين حدث بهذا الحديث ، لا يرد عليه شيئاً من حديثه ، حتى إذا قال : «ذلك له ومثله معه» قال أبو سعيد : أشهد لحفظته من رسول الله ﷺ : «ذلك له وعشرة أمثاله» .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، ثنا معمر ، عن الزهري ، عن عطاء ابن يزيد الليثي ، عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ بنحوه .

وحدثنا عبد الله بن صالح المصري قل : حدثني الليث قال : حدثني هشام ابن سعد ، عن زيد بن سلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : «هل تضارون في الشمس في الظهيرة صحواً ليس فيها سحاب ؟» - قال - قلنا : لا ، قال رسول الله ﷺ : «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟» - قال - فقلنا : لا ، فقال رسول الله ﷺ : «فما تضارون في رؤيته يوم القيامة إلا كهيئة ما تضارون في رؤية أحدهما» .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن علي بن زيد ، عن عمارة القرشي[1] أنه كان عند عمر بن عبد العزيز ، فأتاه أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فقضى له حوائجه ، فلما خرج رجع . فقال عمر : أذكر الشيخ ؟[2] فقال له عمر ما ردك ؟ ألم تقض حوائجك ؟ قال : بلى ، ولكن ذكرت حديثاً حدثناه أبو موسى الاشعري ، أن رسول الله ﷺ قال : «يجمع الله الأمم يوم القيامة في صعيد واحد ، فاذا بدا له أن يصدع بين خلقه ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون ، فيدرجونهم حتى يقحموهم النار ، ثم يأتينا ربنا

---

(١) في «الميزان» : قال الأزدي : ضعيف جداً . روى عنه علي بن زيد بن جدعان وحده . قلت : وعلي بن زيد ، فيه ضعف .

(٢) الاصل (أذكر) بصيغة المتكلم على بناء الفاعل ، وهو غير واضح ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، والمعنى : أذكر الشيخ شيئاً حتى رجع ، كما يدل عليه السياق .

ونحن في مكان رفيع فيقول : من أنتم ؟ فنقول : نحن المؤمنون ، فيقول : ما تنتظرون ؟ فنقول : ننتظر ربنا ، فيقول : من أين تعلمون أنه ربكم ؟ فيقولون : حدثتنا الرسل ـ أو : جاءتنا ، أو ما اشبه معناه ـ ، فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : نعم إنه لا عدل له ، فيتجلى لنا ضاحكاً ، ثم يقول تبارك وتعالى : أبشروا معشر المسلمين ، فإنه ليس منكم أحد إلا قد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً ، فقال عمر لأبي بردة : والله لقد سمعت أبا موسى يحدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، ثنا النضر بن شميل ، ثنا أبو نعامة العدوي قال : ثنا أبو هنيدة البراء بن نوفل ، عن والان العدوي ، عن حذيفة ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديث الشفاعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ وساق إسحاق الحديث إلى قوله : ـ «فيخر ساجداً قدر جمعة ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فيرفع رأسه ، فإذا نظر الى ربه خر ساجداً قدر جمعة أخرى » .

حدثنا حيوة بن شريح الحمصي ، ثنا بقية ، ثنا بحير ـ وهو ابن سعد ـ عن خالد ـ وهو ابن معدان ـ عن عمرو بن الأسود ، عن جنادة بن أبي أمية : أنه حدثهم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه قال : «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا » .

حدثنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ، أن رجلاً من أهل العلم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم ، فأكون أول من أدعى ، فأخر ساجداً حتى يأذن الله لي برفع رأسي ، فأرفع ، ثم أقوم وجبريل عن يمين الرحمن ، لم ير الرحمن تبارك اسمه قبل ذلك » .

حدثنا موسى بن إسماعيل : ثنا حماد – يعني ابن سلمة – عن علي بن زيد، عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس على هذا المنبر بالبصرة ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من نبي[1] الا له دعوة تعجلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وآدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فيطول ذلك اليوم على الناس ، فيقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا الى آدم أبي البشر فليشفع لنا الى ربنا » . وساق الحديث إلى قوله : « فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال : من أنت ؟ فأقول : أنا محمد، فيفتح الباب فآتي ربي وهو على كرسيه أو : على سريره – فيتجلى لي ربي ، فأخر له ساجداً » . وساق أبو سلمة الحديث بطوله إلى آخره .

حدثنا عبد الغفار بن داود الحراني أبو صالح ، ثنا ابن لهيعة ، عن أبي الزبير قال : سألت جابراً رضي الله عنه عن الورود ، فأخبرني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس ، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : ما تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك، فيتبعونه » .

حدثنا هشام بن خالد الدمشقي، ثنا محمد بن شعيب – وهو ابن شابور –: ثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة[2] قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتاني جبريل وفي يده كهيئة المرآة البيضاء وفيها نكتة سوداء ، فقلت : ما هذه يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة بعث بها اليك ربك ، تكون عيداً لك ولأمتك من بعدك ، قلت : وما لنا فيها ؟ قال : لكم

---

(١) في الاصل : ما نبي

(٢) انظر التعليق على الصفحة « ٤٤ » –

فيها خير كثير ، أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة ،وفيها ساعة لا يوافقها عبد يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه » ، قلت :ما هذه النكتة السوداء ؟ قال : هذه الساعة تكون يوم الجمعة ، وهو سيد الأيام ، ونحن نسميه عندنا يوم المزيد ، قلت : وما المزيد يا جبريل ؟ قال : ذلك بأن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض ، فاذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة ، هبط الرب تبارك وتعالى عن عرشه إلى كرسيه ، وحف الكرسي بمنابر من نور ، فيجلس عليها النبيون ، وحف المنابر بكراسي من ذهب، فيجلس عليها الصديقون والشهداء ، ويهبط أهل الغرف من غرفهم ، فيجلسون على كثبان المسك ، لا يرون لأهل المنابر والكراسي عليهم فضلاً في المجلس ، ثم يتبدى لهم ذو الجلال والاكرام فيقول : سلوني ! فيقولون بأجمعهم : نسألك الرضا ، فيشهدهم على الرضا ، ثم يسألونه حتى تنتهي نهية كل عبد منهم ، ثم يسعى عليهم بمالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم يرتفع الرب عن كرسيه إلى عرشه،ويرتفع أهل الغرف الى غرفهم وهي غرفة من لؤلؤة بيضاء ، أو زبرجدة خضراء ، أو ياقوته حمراء ، ليس فيها قصم ولا وصم [1]مطردة فيها أنهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ومساكنها ، فليس أهل الجنة إلى شيء أشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا قرباًمن الله ورضواناً » .

حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث ، قال : حدثني يونس عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام للناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال: «لا أدري أتدركونه،ما من نبي إلا وقد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه، ولكني أقول لكم قولاً لم يقله نبي لقومه : تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور ، قال الزهري :وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حذر

---

(١) أي ليس فيها كسر ولا عيب .

الناس : « إنه مكتوب بين عينيه كافر ، يقرأه من كره عمله » - أو: «يقرأه كل مؤمن » ، وقال : « تعلمن أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت » [1] .

حدثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، أن عمار بن ياسر رضي الله عنه صلى بأصحابه صلاة أوجز فيها .فقيل له خففت ! فقال : أما إني قد دعوت فيها بدعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى فتبعه رجل فسأله عن الدعاء ، ثم رجع الى القوم فأخبرهم فقال : « اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الايمان ، واجعلنا هدة مهتدين »[2] .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب – وهو الحناط - قال : أخبرني خالد بن دينار النيلي ، عن حماد بن جعفر [3] ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ألا أخبرك بأسفل أهل الجنة » وساق أحمد الحديث بطوله - قال -« حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ ، وظنوا أن لا نعيم أفضل منه ، تجلى لهم الرب ، فنظروا إلى وجه الرحمن » قال أحمد : قلت لأبي شهاب : حديث خالد بن دينار هذا في ذكر الجنة رفعه ؟ قال : نعم .

حدثنا يحيى الحماني ، وأبو بكر ابن أبي شيبة قالا : ثنا شريك عن أبي

---

(١) ورواه مسلم

(٢) اسناده صحيح

(٣) وثقه ابن معين ، وابن حبان . وقال ابن عدي : منكر الحديث ، لم أجد له غير حديثين ، هذا أحدهما ، كما في « الميزان » .

إسحاق، عن سعيد بن نمران ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[1] قال : النظر إلى وجه الله عز وجل .

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن مسلم بن يزيد ، عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[1] قال : النظر الى وجه الله عز وجل .

حدثنا يحيى الحماني ، وسليمان بن حرب قالا : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله تعالى : (للذين احسنوا الحسنى وزيادة)[1] قال : (الحسنى) الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله عز وجل ، لا يصيبهم بعد النظر اليه قتر ولا ذلة .

حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ، ثنا أبو معاوية ، عن جويبر، عن الضحاك (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[1] قال : النظر الى وجه الله عز وجل .

حدثنا أحمد بن يونس ، ثنا فضيل — يعني ابن عياض — عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد في قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [1] قال : الزيادة : النظر الى وجه ربهم عز وجل

حدثنا يحيى الحماني ، ثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن أبي تميمة الهجيمي ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : الزيادة : النظر الى وجه الرب .

حدثنا محمد بن المنهال البصري ، ثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمي ، عن أسلم ، عن أبي مرية عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : رآهم أبو موسى وهم ينظرون الى الهلال فقال : كيف ربكم إذا رأيتموه جهرة!

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد — يعني ابن سلمة — عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه كان يقول في دعائه : اللهم إني أسألك لذة النظر الى وجهك ، وشوقاً الى لقائك .

---

(١) سورة يونس ، الاية : ٢٦

حدثنا شيخ من أهل بغداد ، ثنا شريك ، عن عثمان بن أبي اليقظان ، عن أنس بن مالك (ولدينا مزيد) [1] قال : يتجلى لهم كل جمعة .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : إن الملائكة إذا أخذوا بأصوات من تحميد وتقديس وثناء على الله عز وجل ، فليس شيء أطرب منه ، إلا النظر الى الله

حدثنا محمد بن منصور الذي يقال له : الطوسي ، من أهل بغداد : ثنا علي ابن شقيق ، أنبأ حسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) [2] قال : ينظرون الى الله نظراً .

حدثنا الزهراني أبو الربيع ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن كعب قال: ما نظر الله عز وجل الى الجنة إلا قال : طيبي لأهلك ، فزادت طيباً على ما كانت ، وما مر يوم كان لهم عيداً في الدنيا الا يخرجون في مقداره في رياض الجنة ، ويبرز لهم الرب ينظرون اليه ، وتسفى عليهم الريح بالطيب والمسك ، فلا يسألون ربهم شيئاً إلا أعطاهم ، فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا على ما كانوا عليه من الحسن والجمال سبعين ضعفاً .

حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري ، أنبأ إبراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض أمراء الأجناد : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله وطاعته ، والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فان بتقوى الله نجا أولياؤه من سخطه ، وبها تحقق لهم ولايته ، وبها وافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ونظروا الى خالقهم .

---

(١) سورة ق ، الآية : ٣٥ (٢) سورة القيامة ، الايتان : ٢٢ ، ٢٣

قال أبو سعيد رحمه الله : فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والايمان بها ، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ولم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يروونها ويؤمنون بها ، لا يستنكرونها ولا ينكرونها ، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه الى الضلال ، بل كان من أكبر رجائهم وأجزل ثواب الله في أنفسهم النظر الى وجه خالقهم ، حتى مايعدلون به شيئاً من نعيم الجنة .

وقد كلمت بعض أولئك المعطلة ، وحدثته ببعض هذه الأحاديث وكان ممن يتزين بالحديث في الظاهر ، ويدعي معرفتها ، فأنكر بعضها ، ورد رداً عنيفاً . قلت : قد صحت الآثار عن رسول الله ﷺ فمن بعده من أهل العلم ، وكتاب الله الناطق به ، فاذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة ، لم يبق لمتأول عندها تأول ، الا لمكابر أو جاحد . أما الكتاب ، فقوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) [1] وقوله : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [2] ولم يقل للكفار : (محجوبون) إلا وأن المؤمنين لا يحجبون عنه ، فإن كان المؤمنون عندكم محجوبين عن الله كالكفار ، فأي توبيخ للكفار في هذه الآية إذا كانوا هم والمؤمنون جميعاً عن الله يومئذ محجوبين .

وأما قول الرسول ﷺ فقوله : « لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في رؤية الشمس والقمر في الصحو » . ثم ما روينا عن هذه الجماعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعين ، فهل عندكم ما رد ذلك من كتاب أو سنة أو إجماع من الأمة ؟ فاحتج بحديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « نور أنى أراه ؟ » فقلت : هذا في الدنيا ، وكلاهما قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفسيرهما بين في المحدثين[3] جميعاً . فقالت عائشة رضي الله عنها : من زعم

---

(١) سورة القيامة ، الايتان : ٢٢، ٢٣ (٢) سورة المطففين ، الاية : ١٥

(٣) في الاصل : في المحدثين

أن محمداً رأى ربه عز وجل فقد أعظم على الله الفرية ، وتلت : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)[1] .

حدثناه عمرو بن عون ، عن هشيم ، عن داود ، عن الشعبي ،عن مسروق عن عائشة .

قال أبو سعيد : وأنتم وجميع الأمة تقولون[2] به: إنه لم ير ولا يرى في الدنيا ،فأما في الآخرة فما أكبر نعيم أهل الجنة إلا النظر الى وجهه، والخيبة لمن حرمه ، وما تعجبون من أن كان الله ولا شيء من خلقه ، ثم خلق الخلق ، ثم استوى على عرشه فوق سمواته ، واحتجب من خلقه بحجب النار والظلمة ، كما جاءت به الآثار ، ثم أرسل اليهم رسله يعرفهم نفسه بصفاته المقدسة ، ليبلو بذلك إيمانهم أيهم يؤمن به ويعرفه بالغيب ولم يره . وإنما يجزى العباد على إيمانهم بالله بالغيب ، لأن الله عز وجل لو تبدى لخلقه وتجلى لهم في الدنيا لم يكن لايمان الغيب هناك معنى ،كما أنه لم يكفر به عندها كافر ، ولا عصاه عاص، ولكنه احتجب عنهم في الدنيا ، ودعاهم الى الايمان به بالغيب، والى معرفته والإقرار بربوبيته ، ليؤمن به من قد سبقت له منه السعادة ،ويحق القول على الكافرين . ولو قد تجلى لهم لآمن به من في الارض كلهم جميعاً بغير رسل ولا كتب ولا دعاة ، ولم يعصوه طرفة عين . فاذا كان يوم القيامة تجلى لمن آمن به وصدق رسله و كتبه ، وآمن برؤيته ، وأقر بصفاته التي وصف بها نفسه ، حتى يروه عياناً ، مثوبة منه لهم وإكراماً ، ليزدادوا بالنظر الى من عبدوه بالغيب نعيماً ، وبرؤيته فرحاً واغتباطاً ، ولم يحرموا رؤيته في الدنيا والآخرة جميعاً ، وحجب عنه الكفار يومئذ اذا حرموا رؤيته ، كما حرموها في الدنيا ، ليزدادوا حسرة وثبوراً .

---

(١) سورة الانعام ، الاية : ١٠٣ (٢) في الاصل : تقول

فاحتج محتج منهم بقول الله تعالى لموسى : (لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني)[1] ، قلنا : هذا لنا عليكم ، لا لكم ، إنما قال : (لن تراني)[1] في الدنيا ، لأن بصر موسى من الأبصار التي كتب الله عليها الفناء في الدنيا ، فلا تحمل النظر الى نور البقاء ، فاذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار والأسماع للبقاء ، فاحتملت النظر الى الله عز وجل بما طوقها الله .

ألا ترى أنه يقول : (فان استقر مكانه فسوف تراني)[1] ولو قد شاء لاستقر الجبل ورآه موسى ، ولكن سبقت منه الكلمة أن لا يراه أحد في الدنيا ، فلذلك قال : (لن تراني)[1]. فأما في الآخرة فان الله تعالى ينشىء خلقه ، فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء ، فيراه أولياؤه جهراً ، كما قال رسول الله ﷺ .

وقال بعضهم : إنا لا نقبل هذه الآثار ، ولا نحتج بها . قلت : أجل ، ولا كتاب الله تقبلون ، أرأيتم إن لم تقبلوها ، أتشكون أنها مروية عن السلف ، مأثورة عنهم ، مستفيضة فيهم ، يتوارثونها عن أعلام الناس وفقهائهم قرناً بعد قرن ؟ قالوا : نعم . قلنا : فحسبنا إقراركم بها عليكم حجة لدعوانا أنها مشهورة مروية ، تداولتها العلماء والفقهاء ، فهاتوا عنهم مثلها حجة لدعواكم التي كذبتها الآثار كلها ، فلا تقدرون أن تأتوا فيها بخبر ولا أثر ، وقد علمتم — إن شاء الله — أنه لا يستدرك سنن رسول الله ﷺ وأصحابه وأحكامهم وقضاياهم إلا بهذه الآثار والأسانيد على ما فيها من الاختلاف ، وهي السبب الى ذلك ، والنهج الذي درج عليه المسلمون ، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب الله عز وجل ، منها يقتبسون العلم ، وبها يقضون ، وبها يقيمون ، وعليها يعتمدون ، وبها يتزينون ، يرثها الأول منهم الآخر ، ويبلغها الشاهد منهم الغائب ، احتجاجاً بها ، واحتساباً في أدائها الى من لم يسمعها ، يسمونها السنن والآثار والفقه

---

[1] (١) سورة الاعراف ، الاية : ١٤٢

والعلم ، ويضربون في طلبها شرق الأرض وغربها ، يحلون بها حلال الله ، ويحرمون بها حرامه ، ويميزون بها بين الحق والباطل ، والسنن والبدع ، ويستدلون بها على تفسير القرآن ومعانيه وأحكامه ، ويعرفون بها ضلالة من ضل عن الهدى . فمن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديهم ، ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه ، وليتأول كتاب الله برأيه خلاف ما عنى الله به .

فإن كنتم من المؤمنين ، وعلى منهاج أسلافهم ، فاقتبسوا العلم من آثارهم ، واقتبسوا الهدى في سبيله ، وارضوا بهذه الآثار إماماً ، كما رضي بها القوم لأنفسهم إماماً .

فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ولا مثلهم ، ولا يمكن الاقتداء بهم إلا باتباع هذه الآثار على ما تروى[1] . فمن لم يقبلها فانه يريد أن يتّبع غير سبيل المؤمنين وقال الله تعالى :(ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)[2].

فقال قائل منهم : لا بل نقول بالمعقول . قلنا : ها هنا ضللتم عن سواء السبيل ، ووقعتم في تيه لا مخرج لكم منه ، لأن المعقول ليس لشيء واحد موصوف بحدود عند جميع الناس فيقتصر عليه . ولو كان كذلك كان راحة للناس ، ولقلنا به ولم نعد ، ولم يكن الله تبارك وتعالى قال : (كل حزب بما لديهم فرحون)[3] فوجدنا المعقول عند كل حزب ما هم عليه ، والمجهول عندهم ما خالفهم ، فوجدنا فرقكم معشر الجهمية في المعقول مختلفين ، كل فرقة منكم تدّعي أن المعقول عندها ما تدعو إليه ، والمجهول ما خالفها . فحين رأينا المعقول اختلف منا ومنكم ومن جميع أهل الأهواء ، ولم نقف له على حد بين في كل شيء ، رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نرد المعقولات كلّها الى أمر

---

(١) في الاصل : ترون

(٢) سورة النساء ، الاية : ١١٤

(٣) سورة المؤمنون ، الاية : ٥٤

رسول الله ﷺ ؛ وإلى المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم ، لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم ، فكانوا أعلم بتأويله منا ومنكم ، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين ، لم يفترقوا فيه ، ولم تظهر فيهم البدع والأهواء الحائدة عن الطريق .

فالمعقول عندنا ما وافق هديهم ، والمجهول ما خالفهم ، ولا سبيل الى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار ، وقد انسلختم منها وانتفيتم منها بزعمكم، فأنّى تهتدون ؟

واحتجّ محتج منهم بقول مجاهد : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)[1] قال : تنتظر ثواب ربها ؟ قلنا : نعم تنتظر ثواب ربها ، ولا ثواب أعظم من النظر الى وجهه تبارك وتعالى . فإن أبيتم إلا تعلقاً بحديث مجاهد هذا ، واحتجاجاً به دون ما سواه من الآثار ، فهذا آيةُ شذوذكم عن الحق، واتباعكم الباطل ، لأن دعواكم هذه لو صحت عن مجاهد على المعنى الذي تذهبون إليه، كان مدحوضاً القول إليه ، مع هذه الآثار التي قد صحت فيه عن رسول الله ﷺ وأصحابه وجماعة التابعين ، أولستم قد زعمتم أنكم لا تقبلون هذه الآثار، ولا تحتجون بها ، فكيف تحتجون بالأثر عن مجاهد إذ وجدتم سبيلًا إلى التعلق به لباطلكم على غير بيان ؟! وتركتم آثار رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين إذ خالفت مذهبكم ! فأما إذ أقررتم بقبول الأثر عن مجاهد ، فقد حكمتم على أنفسكم بقبول آثار رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين بعدهم ، لأنكم لم تسمعوا هذا عن مجاهد ، بل تأثرونه عنه باسناد وتأثرون بأسانيد مثلها أو أجود منها عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين ما هو خلافه عندكم . فكيف ألزمتم أنفسكم اتباعَ المشتبه من آثار مجاهدٍ وحده ؟! وتركتم الصحيح

---

(١) سورة القيامة ، الايتان : ٢٢ ، ٢٣

المنصوص من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونظراء مجاهد من التابعين ، إلا من ريبة وشذوذ عن الحق ، إن الذي يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء ، ويتعلق بزلاتهم ، والذي يؤم الحق في نفسه ، يتبع المشهور من قول جماعتهم ، وينقلب مع جمهورهم ، فهما آيتان بيّنتان يستدل بهما على اتباع الرجل وعلى ابتداعه .

باب ذكر علم الله تبارك وتعالى

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن أبي حازم يعني عبد العزيز - عن العلاء بن عبد الرحمن الحرقي عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبق علم الله في خلقه ، فهم صائرون الى ذلك » .

حدثنا نعيم ، ثنا ابن المبارك ، ثنا الأوزاعي قال : أخبرني ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله بن الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جفّ القلم على علم الله عز وجل » .

قال أبو سعيد : ومالنا نرى أن يبلغ غداً قوم في تعطيل صفات الله ما بلغ بهذه العصابة عدلهم في تعطيلها ، حتى أنكروا سابق علم الله في خلقه ، وما الخلق عاملون قبل أن يعملوا . ثم قالوا : ما نقول إن الله من فوق عرشه يعلم ما في الأرض ، ولكن علم الله هو الله بزعمهم ، والله بزعمهم في كل مكان ، ليس له علم به يعلم ، ولا هو يسمع بسمع ، ولا يبصر ببصر ، إنما سمعه وبصره وعلمه بزعمهم شيء واحد ، فلا السمع عندهم غير البصر ، ولا البصر غير السمع ، ولا العلم غير البصر ، هو كله بزعمهم سمع وبصر وعلم ، وهو بكليته في كل مكان ، ان علم علم بكله ، وإن سمع سمع بكله ، وإن رأى رأى بكله . ويزعمون أن علم الله بمنزلة النظر والمشاهدة ، لا يعلم بالشيء حتى يكون ، فاذا كان الشيء علم به علم كينونته ، لا بعلم لم يزل في نفسه قبل كينونته ، ولكن اذا

حدث الشيء ، كان هو عند الشيء ، ومعه الشيء بنفسه ، فإن أراد ذلك الشيء ، كان هو يدل الشيء بزعمهم من مكانه ، فذلك إحاطة علم الله بالأشياء عندهم لا أن يكون علم بشيء منها في نفسه قبل كينونته ، فتبارك الله رب العالمين ، وتعالى عما يصفون .

هذا هو الرد لكتاب الله ، والجحود لآيات الله ، وصاحب هذا المذهب يخرجه مذهبه الى مذهب الزندقة ، حتى لا يؤمن بيوم الحساب ، لأن الذي لا يقر بالعلم السابق بالأشياء قبل أن تكون ، يلزمه في مذهبه أن لا يؤمن بيوم الحساب ، وبقيام الساعة ، والبعث ، والثواب ، والعقاب ، لأن العباد إنما لزمهم الايمان بها لإخبار الله بأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأنه محاسبهم يوم الحساب ، مثيبهم ومعاقبهم .

فاذا كان الله بزعمهم لا يعلم بالشيء حتى يكون ، كيف علم في مذهبهم بقيام الساعة والبعث ولم تقم الساعة بعد ولا تقوم إلا بعد فناء الخلق وارتفاع الدنيا ؟! فإن أقروا لله بعلم قيام الساعة والبعث والحساب ، لزمهم أن يقروا له بعلم كل شيء دونها . فإن أنكروا علم الله عز وجل بما دونها ، لزمهم الإنكار بها وبقيامها ، وبالبعث والحساب ، لأن علمه بالساعة كعلمه بالخلق وأعمالهم سواء ، لا يزيد ولا ينقص ، فمن لم يؤمن بأحدهما ، لزمه أن لا يؤمن بالآخر ، وهي من أوضح الحجج ، وأشدها على من رد العلم وأنكره .

واعلموا أن الله عز وجل لم يزل عالماً بالخلق وأعمالهم قبل أن يخلقهم ، ولا يزال بهم عالماً ، لم يزدد في علمه بكينونة الخلق خردلة واحدة ، ولا أقل منها ولا أكثر ، ولكن خلق الخلق على ما كان في نفسه قبل أن يخلقهم ، ومن عنده بدأ العلم ، وهو علم الخلق ما لم يعلموا. فقال تبارك وتعالى : (علم الإنسان ما لم يعلم)[1] وقال للملائكة : (إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها

---

(١) سورة العلق ، الاية : ٥

من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون)[١] فبلغنا في تفسيره عن مجاهد . قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها. حدثناه نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد .

قال أبو سعيد : ولعمري ما علمت الملائكة بسفك الدماء والفساد غيباً من قبل أنفسهم ، ولكن علمهم ذلك علام الغيوب قبل أن يقولوا ، ولذلك ادعوا معرفته .وقال أيضاً : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)[٢] فأخبر الله تبارك وتعالى أنه هو الذي علم آدم والملائكة العلم ، من غير أن يعلموا شيئاً منه ، وأقرت الملائكة بذلك ، وردت العلم كله إلى من بدأ منه فقالوا: (لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)[٢] فهل علمهم إلا ما قد علمه قبل ذلك ؟ وقال فيا أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم:(وكان الله عليماً حكيماً)[٣] (عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)[٤] (أحاط بكل شيء علماً)[٥] (يعلم ما يسرون وما يعلنون)[٦] (يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون)[٧] (يعلم السر وأخفى)[٨] قال : ما لم تحدث به نفسك (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)[٩]. فأخبر الله سبحانه أنه كان العالم قبل كل أحد ، ومنه بدأ العلم،قال : (ومن عنده علم الكتاب)[١٠] وقال : (فمن

---

(١) سورة البقرة ، الاية : ٣٠

(٢) سورة البقرة،الايات: ٣١ - ٣٣

(٣) سورة النساء، الآية : ١٧

(٤) سورة الحشر ، الآية : ٢٢

(٥) سورة الطلاق ، الاية : ١٢

(٦) سورة البقرة ، الاية :٧٧

(٧) سورةالانعام ، الاية : ٣

(٨) سورة طه ، الاية : ٧

(٩) سورة المؤمن (غافر)، الاية: ١٩

(١٠) سورة الرعد ، الاية : ٤٣

حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم)[1] جاءه العلم من الله وهو القرآن .

ثم أخبر بعلمه السابق في عباده قبل أن يعملوا فقال : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة)[2] الآية وقال : (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)[3] وقال : (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب)[4](علم الله أنكم ستذكرونهن)[5] (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله)[6] الآية وما أشبه هذا من كتاب الله كثير ، ولو لم يكن منها في كتاب الله إلا حرف واحد لاكتفي به حجة بالغة ، فكيف والكتاب كله ينطق بنصه يُستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير، وتعرفه العامة والخاصة .

فلم تزل عليه الأمة ، الى أن نبغت هذه النابغة بين أظهر المسلمين ، فأعظموا في الله القول ، وسبوه بأقبح السباب ، وجهلوه ونفوا عنه صفاته التي بها يعرف صفة صفة ، حتى نفوا عنه العلم الأول السابق ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، والأمر كله ، ثم جعلوه كلا شيء فقالوا في الجملة : ما نعرف إلهاً غير هـذا الذي في كل مكان ، فاذا باد شيء صار مكانه . فنظرنا في صفة معبودهم هذا ، فلم نجد بهذه الصفة شيئاً غير هـذا الهواء القائم على كل شيء الداخل في كل مكان ، فمن قصد بعبادته الى إله بهذه الصفة ، فإنما يعبد غير الله ، وليس معبوده ذاك بإله ، كفرانه لا غفرانه .

فاحذروا هؤلاء القوم على أنفسكم وأهليكم وأولادكم أن يفتنوكم ، أو يكفروا صدوركم بالمغاليط والأضاليل التي تشتبه على جهالكم ، فان الله تعالى

---

(١) سورة آل عمران ، الاية : ٦١ (٢) سورة الجاثية ، الاية: ٢٢

(٣) سورة سبأ ، الاية : ٣ (٤)سورة المائدة،الايتان:١١٩،١٢٠

(٥) سورة البقرة ،الاية : ٢٣٥ (٦) سورة المزمل ، الاية : ٢٠

قال في كتابه : (يا أيهـــا الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليهـــا ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله مـا أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)[1].

فإن جحد منهم جاحد ، وانتفى من بعض ما حكينا عنهم ، فلا تصدقوهم ، فإنه دينهم الذي يعتقدونه في أنفسهم ، لا يجحد ذلك منهم إلا متعوّذ مستتر ، أو جاهل بمذاهبهم لا يتوجه بشيء منها . فقد اعترف لنا بذلك بعض كبرائهم ، أو بما يشبه معناه وأسندوا بعض ذلك الى بعض المضلين من أشياخهم ، فإلى الله أشكو رأياً هذا تأويله ، وقوماً هذا إبطالهم لعلم ربنا .

والله لقد علمت الملائكة بما علمهم الله ما هو كائن من بني آدم من الفساد ، وسفك الدماء قبل أن يخلقوا ، فكيف خالقهم الذي علمهم ذلك ؟! فقالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)[2] فقال: (إني أعلم ما لا تعلمون)[2]. ووصف الله هذه الأمـة في التوراة والإنجيل قبل أن يخلقوا بصفاتهم ، فكيف وصفهم من غير علم له بهم ؟ فقال : (محمد رسول الله والذين معـــه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل)[3] قال : (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهـم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)[4] فهل كان هـذا الوصف من الله والإخبار عنهم ، إلا لعلمه السابق فيهم ، فما قدروا أن يتعدوا هـذه الصفات ،

---

(١) سورة التحريم ، الاية : ٦ (٢) سورة البقرة ، الاية : ٣٦

(٣) سورة الفتح ، الاية : ٢٩ (٤)سورة الاعراف،الايتان: ١٥٥، ١٥٦

ولا يقصروا عن شيء مما وصفهم الله به قبل أن يكونوا ، وقال : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)[1] فكتب ذلك بعلم قبل أن يرثوها ، وقال : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً)[2] قضى عليهم في الكتاب الإفساد في الأرض قبل أن يفسدوا . وقوله : (وقضينا) قال مجاهد : كتبنا ، كذلك حدثنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن ابن جريج عن مجاهد . وقال : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)[3] سبقت لهم الحسنى من الله قبل أن يخلقوا ، لعلم الله فيهم ، فما استطاعوا أن يتعدوا شيئاً علمه الله فيهم . وقال : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون)[4] وأخبر عن أعمال قوم قبل أن يعملوها . وقال : (وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم)[5] فأخبر الله تعالى بتمتيعهم ومس العذاب إياهم قبل أن يخلقوا . قال : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)[6] روي في بعض التفاسير[7] أنهم الأعاجم أخبر الله بدخولهم في الإسلام قبل أن يدخلوا . وقال لأهل بدر حين أخذوا الفداء من المشركين : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)[8] يقول : لولا ما سبق لأهل بدر من السعادة لمسهم العذاب في أخذهم الفداء ، فلم يقدر أهل بدر أن لا يأخذوه ولو حرصوا على تركه . وقال : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم)[9] وقال : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه

---

(١) سورة الانبياء ، الاية : ١٠٥ (٢) سورة الاسراء ، الاية : ٤

(٣) سورة الانبياء ، الاية : ١٠١ (٤) سورة الصافات ، الايات : ١٧١ - ١٧٣

(٥) سورة هود ، الاية : ٤٨ (٦) سورة الجمعة ، الاية : ٣

(٧) في الاصل : التفسير

(٨) سورة الانفال ، الاية : ٦٨ (٩) سورة يونس ، الايتان : ٩٦، ٩٧

وإنهم لكاذبون)[١] وقال : (إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) [٢] وقال : (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)[٣] فسبقت لهم منه الرحمة قبل أن يخلقوا ، والدعاء لمن سبقهم قبل أن يدعوا . وقال : (فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون) [٤] فأخبر الله باتباعهم وإغراقهم قبل أن يكون . وقال : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) [٥] فأخبر باختلافهم قبل أن يختلفوا . وقال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً)[٦] وقال : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) [٧] ولكن علم منهم غير ذلك فصاروا الى ما علم منهم . وأخبر بعلمه في قوم فقال : (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)[٨] ، وأخبر عن قوم آخرين فقال : (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون)[٩] .

فمن آمن بكتاب الله وصدق رسل الله ، اكتفى ببعض ما ذكرنا في علم الله السابق في الخلق وأعمالهم قبل أن يعملوها ، ومن يحصي ما في كتاب الله ، وفي آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين في إثبات علم الله له

---

(١) سورة الانعام ، الاية : ٢٨ (٢) سورة الدخان، الايتان : ١٥، ١٦
(٣) سورة الحشر ، الاية : ١٠ (٤) سورة الدخان، الايتان : ٢٣، ٢٤
(٥) سورة هود ، الايتان ١١٨ - ١١٩ (٦) سورة الجن ، الايات : ٢٦ - ٢٨
(٧)سورة الانفال، الايتان: ٢٢، ٢٣ (٨) سورة يس ، الاية : ١٠
(٩) سورة المؤمنون ، الاية : ٧٥

والإقرار به، ويكفي في معرفة ذلك أقل مما جمعنا، ولكن جمعناها ليتدبرها أهل العقول والأفهام فيعرفوا ضلالة هؤلاء الذين أخرجوا الله من العلم، ونفوه عنه، وجعلوه في العلم والمعرفة كالخلق سواء، فقالوا: كما لا يعلم الخلق بالشيء قبل أن يكون، فكذلك الله بزعمهم لا يعلم قبل أن يكون. فما فضل (علام الغيوب)[1] الذي (يعلم السر وأخفى)[2] على المخلوق الذي لا يعلم شيئاً إلا ما علمه الله. وهذا المذهب الذي ادعوه في علم الله قد وافقهم على بعضه بعض المعتزلة، لأنه لا يبقى مذهب الفريقين جميعاً إلا برد علم الله، فكفى به ضلالاً، ولأنهم متى أقروا بعلم سابق خصموا. كذلك قال عمر بن عبد العزيز.

حدثنا نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن معمر، عن زيد بن رفيع الجزري عن عمر بن عبد العزيز قال: من أقر[3] بالعلم فقد خصم.

قال أبو سعيد رحمه الله: فتأويل قولهم ومذهبهم، أنه كلما حدث لله خلق حدث له علم بكينونته، علم ما لم يكن علمه. ففي تأويلهم هذا، كان الله ولا علم له بزعمهم، حتى جاء الخلق فأفادوه علماً، فكلما حدث خلق حدث لله علم بزعمهم، فهو بما كان - بزعمهم - عالم، وبما لم يكن غير عالم حتى يكون، فتعالى الله عما يصفون.

قال الله عز وجل: (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام)[4] الآية. وقال: (قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين)[5] وقال: (قل إنما علمها عند ربي)[6]. وقال: (قال علمها عند ربي في كتاب)[7] فكيف يحدث لله علم بكينونة الخلق وعلى علمه السابق فيهم خلقوا، وبما كتب عليهم في أم الكتاب يعملون لا يزيدون مثقال حبة ولا ينقصون. قال: (وكل

---

(١) سورة المائدة، الاية: ١٠٩ (٢) سورة طه، الاية: ٧

(٣) في الاصل: من (لا) أقر بزيادة لا، ولا يستقيم معناها.

(٤) سورة لقمان، الاية: ٣٤ (٥) سورة الملك، الاية: ٢٦

(٦) سورة الاعراف، الاية: ١٨٧ (٧) سورة طه، الاية: ٥٢

شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر) [1] وقال :(وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) [2] وقال : (ومن عنده علم الكتاب) [3] وقال : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) [4] وقال : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) [5] وقال: (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) [6] (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) [7] وقال : (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) [8] فهل كتب هذه الأشياء قبل كينونتها الا للعلم بها قبل أن تكون ؟

حدثنا سعيد بن ابي مريم المصري،أنبأ الليث — وهو ابن سعد — :حدثني عبيد الله بن حيان قال : حدثني عبد الوهاب بن بخت — أو : ثعلبة الخثعمي — عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : أيها الناس لا يشتبه عليكم بأن الله علم علماً ، وخلق خلقاً ، فان كان العلم قبل الخلق ، فالخلق يتبع العلم ، وإن كان الخلق قبل العلم ، فالعلم يتبع الخلق . قال ابن أبي مريم : وأخبرنا ابن لهيعة ، عن عبد الله بن حيان ، عن عبد الله بن بخت عن أبي أمامة مثله .

قال أبو سعيد : فادعت هذه العصابة أن الخلق قبل العلم والعلم يتبع الخلق ، فأي ضلال أبين من هذا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول شيء خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ! فكتب كل شيء يكون » .

---

(١) سورة القمر ، الايتان : ٥٢ ، ٥٣

(٢) سورة الزخرف ، الاية : ٤

(٣) سورة الرعد ، الاية : ٤٣

(٤) سورة التوبة ، الاية ٣٦

(٥) سورة الحديد ، الاية : ٢٢

(٦) سورة فاطر ، الاية : ١١

(٧) سورة الحج ، الاية : ٧٠

(٨) سورة آل عمران ، الاية : ١٥٤

قال أبو سعيد رحمه الله : فلم يدر والله القلم بما يجري حتى أجراه الله بعلمه وعلمه ما يكتب مما يكون قبل أن يكون . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كتب الله مقادير أهل السموات والأرض قبل أن يخلقهم بخمسين الف سنة » فهل كتب ذلك الا بما علم ، فما موضع كتاب هذا إن لم يكن علمه في دعواهم ؟

ثم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يشبه هذا وعن أصحابه جملة كثيرة أكثر من أن نحصيها كتابنا هذا ، وسنأتي منها ببعض ما حضر إن شاء الله ، مع أنا نعلم أنهم يكذبون بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون بها ، ولكن خير منهم وأطيب وأفضل وأعلم الناس[1] من يؤمن بها فيتقيهم .

حدثنا نعيم بن حماد ، وأحمد بن جميل ، أن ابن المبارك أخبرهم : أنبأ رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول شيء خلقه الله القلم ، فأمره فكتب كل شيء يكون » .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري ، قال : حدثني الليث — يعني ابن سعد — عن أبي هانيء حميد بن هانيء ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتب الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة » .

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا عبد الله بن بكر السهمي ، ثنا بشر ابن نمير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، فأخذ أهل اليمين بيمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى ، وكلتا يدي الرحمن يمين وقال : يا أصحاب اليمين ، قالوا : لبيك ربنا وسعديك ، قال: ألست

---

(١) في الاصل : وأعلم من الناس .

بربكم ؟ قالوا : بلى ، ثم قال : يا أصحاب الشمال ، قالوا : لبيك ربنا وسعديك، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى، فخلط بعضهم ببعض . فقال قائل : يا رب لم خلطت بيننا ؟ قال : (لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) [1] وقوله : (إنا كنا عن هذا غافلين) [2] ثم ردهم في صلب آدم » ـ قال ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، وأهل الجنة أهلها ، وأهل النار أهلها ، فقال قائل : يا نبي الله ما الأعمال؟ قال : أن يعمل كل قوم لمنزلتهم » . فقال عمر : إذاً نجتهد، ـ قال ـ وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأعمال فقيل : يا رسول الله أرأيت الأعمال ، أهو شيء يؤتنف ، أو فرغ منها ؟ قال : « بل فرغ منها » .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ المسعودي، عن علي بن جذيمة، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم)[2] قال : خلق الله آدم فأخذ ميثاقه أنه ربه ، وكتب أجله ورزقه ومصائبه ، وأخرج ولده من ظهره كهيئة الذر، فأخذ مواثيقهم أنه ربهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم .

حدثنا محمد بن كثير العبدي ، ثنا سفيان ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الأعلى ، عن عبد الله بن الحارث قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الله خلق أهل الجنة وما هم عاملون ، وخلق أهل النار وما هم عاملون، فقال: هؤلاء لهذه ، وهؤلاء لهذه .

حدثنا عمرو بن عون الواسطي ، أنبأ أبو عوانة، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم » .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، عن أيوب ، عن الزهري ، عن

---

(١) سورة المؤمنون ، الاية : ٦٣ (٢) سورة الاعراف ، الاية : ١٧٢

عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا عمرو بن عون ، أنبأ هشيم ، عن خالد - وهو الحذاء - عن عبد الله بن شقيق ، عن ابن أبي الجدعاء قال : قال رجل : يا رسول الله متى كتبت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » . قرأت على أبي اليمان أن أبا بكر ابن أبي مريم الغساني حدثه ، عن سعيد بن سويد عن عرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إني عبد الله، في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته » .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ حيوة بن شريح قال : أخبرني أبو هانىء الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض » .

حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري قال : أخبرني الليث بن سعد قال : حدثني أبو قبيل ، عن شُفي بن ماتع الأصبحي ، عن عبد الله بن عمرو قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، فقال للأيمن منهما : « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » ، وقال للذي في يده اليسرى : « وهذا كتاب بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فلأي شيء يعمل ان كان هذا الأمر قد فرغ منه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سددوا وقاربوا ! فإن أصحاب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيما عمل ، وإن أصحاب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيما عمل » ثم قبض يديه وقال : « فرغ ربكم من العباد » ثم قال

بيده اليمنى فنبذ بها فقال : « فريق في الجنة » . ونبذ بالأخرى وقال : «فريق في السعير » .

قال أبو سعيد : فهؤلاء قد كتبهم الله بأسمائهم التي كان في علمه أن يسميهم بها آباؤهم وأمهاتهم قبل أن يخلقهم . فما قدر الآباء لتلك الأسماء تبديلاً ، ولا استطاع ابليس لمن هدى الله منهم تضليلاً .

وسئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » فرد أمرهم إلى سابق علم الله فيهم قبل أن يخلقوا ، وقبل أن يعملوا . وقال الله عز وجل : (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[1] وقال : (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)[2] . و قال رسول الله ﷺ : « يكتب بين عيني المولود ما هو لاقٍ قبل أن يولد حتى النكبة ينكبها » .

حدثنا أحمد بن صالح المصري ، ثنا ابن وهب قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب أن عبد الرحمن بن هنيدة حدثه أن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله عز وجل أن يخلق النسمة قال ملك الأرحام معرضاً : يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي الله أمره ثم يقول: يا رب شقي أم سعيد ؟ فيقضي الله أمره ، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النكبة ينكبها »[3] .

حدثنا معاذ بن محمد بن كثير ، أنبأ سفيان الثوري ، عن الأعمش ، ثنا زيد بن وهب قال : ثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ (٢) سورة النجم ، الآية : ٣٢

(٣) إسناده جيد ، رجاله ثقات رجال البخاري غير ابن هنيدة وقد وثقه أبو داوود كما في « الخلاصة » .

فيؤمر بأربع كلمات فيقول : اكتب عمله ، وأجله ، ورزقه ، وشقي أو سعيد، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة الا ذراع ، فيغلب عليه الكتاب الذي سبق،فيختم بعمل أهل النار فيدخل النار،وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ، فيغلب عليه الكتاب الذي سبق ، فيختم بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » .

حدثناه أبو عمر الحوضي،ثنا شعبة عن سليمان الأعمش ، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ، ذكر نحوه قال : « فيكتب رزقه وعمله ، وأجله ، وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح » .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد — قال — ، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا ومعه مخصرة ، فنكس، فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « مامنكم من أحد من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » — قال — فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتاب ربنا وندع العمل ، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير الى عمل أهل الشقاوة قال : « اعملوا ! أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة » ثم قرأ : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) [1] إلى قوله : (فسنيسره للعسرى) [2] .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ شعبة بن الحجاج قال : أخبرني عاصم بن عبيد الله قال : سمعت سالم بن عبد الله قال : سمعت أبي يقول : سمعت

---

(١) سورة الليل ، الايتان : ٥ ، ٦ (٢) سورة الليل ، الاية : ١٠

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سألت رسول الله ﷺ فقلت : أرأيت ما نعمل أفي أمر قد فرغ منه ، أم أمر مبتدع أو مبتدأ ؟ فقال : « فيما قد فرغ منه » فقال عمر : أفلا نتكل ؟ فقال : « اعمل يا ابن الخطاب ، فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فهو يعمل للسعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فهو يعمل للشقاء » .

قال أبو سعيد رحمه الله : ومن فرغ منه الا من قد علمه قبل أن يكون؟ ومن يسرهم لما خلقهم له إلا من قد علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ؟ فسبحان من لا يستحق أحد أن يكون كذلك غيره ، وتعالى علواً كبيراً .

فيقال لمن رد ما ذكرنا من كتاب الله ، وهذه الأخبار ولم يقر لله بعلم سابق ، أرأيت الله يعلم أن الساعة آتية ؟ فإن قال:لا ، فقد فارق قوله وكفر بما أنزل الله على نبيه ﷺ وكذب بالبعث ، وأخبرك أنه نفسه لا يؤمن بقيام الساعة . وإن قال : يعلم الله أن الساعة آتية ، فقد أقر بكل العلم شاء أو أبى ، ويقال له أيضاً:أعلم الله قبل أن يخلق الخلق أنه خالقهم ؟ فان قال :لا ، فقد كفر بالله العظيم ، وإن قال : بلى ، فقد أقر بالعلم السابق وانتقض عليه مذهبه في رد علم الله وهو منتقض عليه على زعمه .

باب الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى

قال أبو سعيد : فالله المتكلم أولاً وآخرا ، لم يزل له الكلام إذ لا متكلم غيره،ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى متكلم غيره فيقول : (لمن الملك اليوم)[1] أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ فلا ينكر كلام الله عز وجل إلا من يريد إبطال

---

(١) سورة غافر ، الاية : ١٦

الله عز وجل . وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام وأنطق الأنام؟!
قال الله في كتابه : (وكلم الله موسى تكليماً) [1] فهذا لا يحتمل تأويلاً غير نفس الكلام ، وقال لموسى : (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [2]
وقال : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) [3] وقال : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) [4] وقال : (لا تبديل لكلمات الله) [5] وقال : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته) [6]
وقال : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [7]
وقال : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) [8] وقال : (فتلقى آدم من ربه كلمات) [9] قال عبيد بن عمير الليثي في تفسيرها ، قال : قال آدم لربه ، وذكر خطيئته : رب أشيء كتبته علي قبل أن تخلقني ، أم شيء ابتدعته ؟ فقال : بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك ، قال : فكما كتبته علي فاغفره لي ! قال فهؤلاء الكلمات التي قال الله عز وجل : (فتلقى آدم من ربه كلمات) [9] .

حدثناه محمد بن كثير ، أنبأ سفيان - يعني الثوري - عن عبد العزيز بن رفيع قال : حدثني من سمع عبيد بن عمير يقوله .

قال أبو سعيد : فسئل النبي ﷺ عن آدم فقال : « كان نبياً مكلماً » .
وقال : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [10]
وقال : (سلام قولاً من رب رحيم) [11] وقال لقوم موسى حين اتخذوا العجل

---

(١) سورة النساء ، الاية : ١٦٤
(٢) سورة الاعراف ، الاية : ١٤٤
(٣) سورة البقرة ، الاية : ٧٥
(٤) سورة الفتح ، الاية : ١٥
(٥) سورة يونس ، الاية : ٦٤
(٦) سورة الانعام ، الاية : ١١٥
(٧) سورة التوبة ، الاية : ٦
(٨) سورة الصافات ، الاية : ١٧١
(٩) سورة البقرة ، الاية : ٣٧
(١٠) سورة النحل ، الاية : ٤٠
(١١) سورة يس ، الاية : ٥٨

(أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) (١)
وقال : (عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين) (٢) .

قال أبو سعيد : ففي كل ما ذكرنا تحقيق كلام الله وتثبيته نصاً بلا تأويل، ففيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام ، بيان بين أن الله عز وجل غير عاجز عنه ، وأنه متكلم وقائل ، لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود فيه .

وقال لإبراهيم : (بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون) (٣).
الآية الى قوله : (أفلا تعقلون) (٤) فلم يعب ابراهيم أصنامهم وآلهتهم التي يعبدون بالعجز عن الكلام الا وأن إلهه متكلم قائل .

ففيما ذكرنا من ذلك بيان بين لمن آمن بكتاب الله وصدّق بما أنزل الله .
وقال الله عز وجل : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) (٥) وقال : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (٦) وصدق وبلغ رسول الله ﷺ : « لو جمع مياه بحور السموات والأرض وعيونها ، وقطعت أشجارها أقلاماً ، لنفدت المياه ، وانكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات الله».
لأن المياه والأشجار مخلوقة وقد كتب الله عليها الفناء عند[انتهاء] مدتها ، والله حي لا يموت ، ولا يفنى كلامه ، ولا يزال متكلماً بعد الخلق ، كما لم يزل متكلماً قبلهم ، فلا ينفد المخلوق الفاني كلام الخالق الباقي الذي لا انقطاع له في الدنيا والآخرة ولو كان على ما يذهب اليه هؤلاء الجهمية أنه كلام مخلوق أضيف الى

---

(١) سورة طه ، الاية : ٨٩ — (٢) سورة الاعراف ، الاية : ١٤٧
(٣) سورة الانبياء ، الاية : ٦٣ — (٤) سورة الانبياء ، الاية : ٦٧
(٥) سورة الكهف ، الاية : ١٠٩ — (٦) سورة لقمان ، الاية : ٢٧

الله، وأن الله عز وجل لم يتكلم بشيء قط، ولا يتكلم بشيء قط ، ولن يتكلم[1] ، لنفد كل مخلوق من الكلام قبل أن ينفد ماء بحر واحد من البحور ، لأنه لو جمع كلام خلق الله كلهم من الجن ، والإنس ، والملائكة ، والطير ، والبهائم كلها ، وجميع أعمالهم ، وكتب بماء بحر واحد من البحور ، لكتب كل ذلك، ونفد قبل أن ينفد ماء بحر واحد ، ولا عشر عشر بحر واحد ، ولكنه كلام لا انقطاع له ، فلا ينفد ما لا يفنى ، وينقطع ما يبقى .

ثم الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين فمن بعدهم ، جمة كثيرة متظاهرة ، بتحقيق كلام الله وتثبيته ، وسنأتي منها ببعض ما حضر إن شاء الله .

حدثنا محمد بن كثير العبدي ، أنبأ إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: « ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلمات ربي ». حدثنا شهاب بن عبَّاد الكوفي: ثنا محمد ابن الحسن بن أبي يزيد الهمداني ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة . ثنا حماد بن سلمة ، عن أشعث الحدَّاني ، عن شهر بن حوشب ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن فضل كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على سائر خلقه » .

حدثناه عقبة بن مكرم البصري ، ثنا معلى بن أسد ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن أشعث الحدَّاني ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي

---

[1] في الاصل : ولا يتكلم

هريرة رضي الله عنـــه قال : قال رسول الله ﷺ : « فضل القرآن على سائر الكلام ، كفضل الرحمن على سائر خلقه » .

حدثنا علي ابن المديني ، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري ثم السلمي قال : سمعت طلحة بن خراش بن الصمة الأنصاري ثم السلمي يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا جابر مالي أراك مهتماً ؟ » — قال — قلت : يا رسول الله استشهد أبي وترك ديناً عليه وعيالاً ، فقال : « ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحـداً قط إلا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحاً فقــال : يا عبد تمنَّ علي أعطك ! قال : يا رب تحيني فأقتل فيك الثانية ! فقال الرب تبارك وتعالى : انه سبق مني أنهم اليها لا يرجعون ، قال : يا رب فأبلغ من ورائي » ـ قال ـ فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً)[1] حتى أنفذ الآية .

حدثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا حماد — يعني ابن سلمة — ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لقي آدم موسى . فقال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسكنك الجنـــة ، وأسجد لك ملائكته ، ثم فعلت ما فعلت فأخرجت ذريتك من الجنــة ؟ فقال آدم : يا موسى أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته ؟ وكلمك وقربك نجياً ، وآتاك التوراة ، فبكم تجـده كتب علي العمل الذي عملت قبل أن يخلقني ؟ قال : بأربعـــين سنة ، قال : فبم تلومني يا موسى ؟ » قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « فحج آدم موســى ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى » .

حدثناه أبو سلمة ، ثنا حماد ، عن عمار بن أبي عمار قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ ، وحميد عن الحسن ، عن جندب ، عن النبي

---

(١) سورة آل عمران ، الاية : ١٦٩

ﷺ قال : « لقي آدم موسى » فذكر مثله إلا أنه قال : « وكلمك وآتاك التوراة ، وقربك نجياً » ؟ قال : نعم، قال: فأنا أقدم أم الذكر ؟قال:الذكر». قال رسول الله ﷺ : « فحج آدم موسى » ثلاثاً .

حدثناه أبو سلمة ، ثنا حمـــاد بن سلمة ، ثنا أبو هارون ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، وزاد فيه : « أن يا موسى أرأيت ما علم الله أنه سيكون بد من أن يكون ؟ » .

حدثناه عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنــه قال : قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى عليهما السلام ، فقال موسى : يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ؟ فقال له قولاً كبيراً لا أحفظه : أغويت الناس ، وأخرجتهم من الجنة. فقال آدم : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاتـــه ، وكلمك تكليماً ، تلومني أن أعمل عملًا قد كتبه الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض ـ قال ـ فقال رسول الله ﷺ : « فحج آدم موسى » .

حدثنا الأصبغ بن الفرج المصري ، قال : أخبرني ابن وهب ، عن هشام ابن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إن موسى قال : يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه الله آدم . فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقــال : نعم . قال : الذي نفخ الله فيك من روحه ، وعلمك الأسماء كلها ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال : نعم ، قال : فما حملك على أن أخرجتنا من الجنة ونفسك ؟ فقال له آدم : ومن أنت ؟ قال : أنا موسى . قال أنت نبي بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال وأنت الذي كلمك الله من وراء الحجاب ، لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه؟ قال : نعم . قال : فهل وجدت في كتاب الله أن ذلك كان في كتاب قبل أن أخلق ؟ قال:بلى. قال: فبم تلومني على شيء سبق من الله عز وجل القضاء فيه قبل . فقال

رسول الله ﷺ عند ذلك : « فحج آدم موسى » صلوات الله عليهما .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، أنبأ النضر بن شميل ، أنبأ أبو نعامة العدوي ، ثنا أبو هنيدة البراء بن نوفل ، عن والان العدوي ، عن حذيفة ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديث الشفاعة قال : قال رسول الله ﷺ : « فيأتون ابراهيم فيقول : ليس ذلكم عندي ، فانطلقوا إلى موسى ، فإن الله كلمه تكليماً ! فيقول موسى : ليس ذلكم عندي » .

حدثنا عبد الغفار بن داود الحراني أبو صالح ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا الحارث بن يزيد عن علي بن رباح ، عن رجل سمع عبادة بن الصامت يقول : إن النبي ﷺ خرج فقال : « إن جبريل أتاني فقال : اخرج فحدث بنعمة الله التي أنعم بها عليك ، فبشرني بعشر لم يؤتها نبي قبلي ، بعثني الى الناس جميعاً ، وأمرني أن أنذر الجن ، ولقاني كلامه وأنا أمي ، قد أوتي داود الزبور ، وموسى الألواح ، وعيسى الانجيل » .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري ، أن معاوية بن صالح حدثه ، عن أبي بكر – يعني ابن أبي مريم – عن عطية – وهو ابن قيس – أن النبي ﷺ قال : « ما من كلام أعظم عند الله من كلامه ، ما رد العباد الى الله كلاماً أحب إليه من كلامه » .

حدثنا سلام بن سليمان المدائني ، ثنا المسعودي ، عن أبي عمر ، عن عبيد بن الحسحاس ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد ، فجلست إليه فقلت : أي الأنبياء كان أولاً ؟ قال : « آدم » قلت : ونبياً كان ؟ قال : « نعم نبياً مكلّماً » .

حدثنا الربيع بن نافع ، ثنا معاوية – يعني ابن سلام – عن زيد – وهو ابن سلام – أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني أبو أمامة أن رجلاً أتى النبي ﷺ

فقال : يا نبي الله أنبياً كان آدم ؟ قال : « نعم مكلماً » قال كم بينه وبين نوح؟ قال : « عشرة قرون » .

حدثنا علي بن المديني ، أنبأ سفيان ، ثنا محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة ، عن كريب ، عن ابن عباس ، عن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار أن النبي ﷺ خرج ذات يوم من عندها ، فخرج وهي في المسجد ، ثم رجع بعد ما تعالى النهار فقال : « ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد ؟ » قلت : نعم ، فقال : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ، لو وزن بكلماتك وزنتهن ، سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ يونس ، عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: « يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » .

حدثنا أبو عمر الحوضي ، ثنا شعبة ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن خرشة بن الحر ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم » ـ قال ـ قلت : من هم خابوا وخسروا ؟ ـ قال ـ فأعادها ثلاثاً فقلت : من هم خابوا وخسروا ؟ قال : « المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، أو الفاجر » .

حدثنا محبوب بن موسى الأنطاكي أنبأ ، أبو إسحاق ، عن أبي حماد ـ يعني الحنفي ـ : قال أبو إسحاق : وكان من أوثق أهل زمانه ، عن ابن عقيل ـ وهو عبد الله بن محمد بن عقيل ـ قال : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : صلى رسول الله ﷺ على الشهداء كلهم يوم أحد ، فرجعت وأنا مثقل قد ترك أبي علي ديناً وعيالاً ، فلما كان عند الليل أرسل إلي رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال : « يا جابر إن الله قد أحيا أباك وكلمه » – قال – قلت : وكلمه كلاماً ؟ – فقال – قال : « وكلمه كلاماً فقال له : تمن ! قال : أتمنى أن ترد روحي ، وتنشر خلقي كما كان ، وترجعني الى نبيك فأقاتل في سبيلك فأقتل مرة أخرى » .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن ليث ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء قال : قال عمر رضي الله عنه : إن هذا القرآن كلام الله ، فلا أعرفنّكم ما عطفتموه على أهوائكم ، إلا أن يكفر به عبد عمد عين .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : هدي وكلام ، فخير الكلام كلام الله ، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي أبو سعيد ، ثنا أحمد بن بشر ، ثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق أن عبد الله قال : القرآن كلام الله ، فمن قال فيه فليعلم ما يقول فإنما يقول على الله .

حدثنا أحمد بن صالح المصري ، ثنا ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : أخبرني علي بن حسين أن ابن عباس قال : أخبرني رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، أنهم بيناهم جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم ، رمي بنجم فستنار ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول : ولد الليلة عظيم ، ومات عظيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا حياة أحد ، ولكنا ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم يسبح الذين يلونهم ، حتى بلغ التسبيح أهل السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش:

ما قال ربكم ؟ فيخبرونهم بتسبيح أهل السموات، حتى يبلغ الخبر أهل هذه السماء الدنيا ، فيتخطف الجن السمع ، فيذهبون به إلى أوليائهم ، فإذا جاؤوا به على وجهه ، فهو حق ، ولكنهم يرقون فيه » يعني يقرفون .

حدثنا محمد بن بشار العبدي ، ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله رضي الله عنه قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان ـ قال ـ فيفزعون ، يرون أنه من أمر الساعة (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير)[1].

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله عز وجل اذا تكلم بالوحي سمعوا مثل سلسلة الحديد على الصفوان ، فخروا سجداً فـ (إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير)[1] ثم ينزل الشيطان الى الأرض فيزيد فيها سبعين كذبة .

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن فروة بن نوفل قال : كنت جاراً لخباب رضي الله عنه ، فخرجنا معه يوماً الى الجمعة ، فأخذ بيدي فقال : يا هنـــاه ! تقرب الى الله ما استطعت ، فإنك لن تقرّب إلى الله بشيء أحب اليه من كلامه .

حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث قال : حدثني يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله ، عن حديث عائشة حين قال لهـا أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله منه ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً ، وإن كان بعضهم أوعى من بعض ، زعموا أن عائشة رضي الله عنها قالت : لشأني كان أحقر في نفسي من أن

---

(١) سورة سبأ ، الاية : ٢٣

يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها .

حدثنا نعيم بن حماد ، ثنا ابن المبارك ، أنبأ يونس ، عن الزهري ، عن طارق بن مخاشن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بلديغ فقال : « لو قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره »

حدثنا الجرجسي يزيد بن عبد ربه ، ثنا بقية عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن طارق بن مخاشن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلديغ لدغته عقرب فقال : « لو قال : أعوذ بكلمات الله التامات لم يلدغ » — أو : « لم تضره » — .

حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا حماد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع : « أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وإن يحضرون » .

حدثنا عثمان ابن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن محمد بن إسحاق باسناده ، إلا أنه قال : « من غضبه وعقابه وشر عباده » . حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور بن المعتمر ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود حسناً وحسيناً فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » . وكان يقول : « كان أبوكما يعوذ بها إسماعيل واسحاق » .

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا محمد بن شعيب ، عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذر رضي الله عنهما قال : قلت : أي النبيين أولاً يا رسول الله ؟ قال : « آدم » قلت : أو نبياً كان ؟ قال : « نعم ، مكلماً ، خلقه الله بيده ، وكلمه قبلاً فقال : (اسكن أنت وزوجك الجنة) [1] » .

---

(١) سورة البقرة ، الاية : ٣٥

حدثنا عمرو بن عون ، أنبأ أبو معاوية ، عن الاعمش ، عن خيثمة ، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان » .

حدثنا أبو عمر الحوضي ، ثنا شعبة ، عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن ابن عمرو بن جرير ، عن خرشة بن الحر ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، أو الفاجر » .

حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، ثنا معن ، ثنا عبد الله بن عبد الله أبو أويس ، عن قرثع الغطفاني ، عن عقبة بن بشير بن المغيرة بن بشير الأسدي قال : سألت محمد بن علي بن الحسين الهاشمي — قال — قلت : يا أبا جعفر ! من أول من تكلم بالعربية ؟ قال : إسماعيل بن إبراهيم النبي ، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة ، قلت فما كان كلام الناس قبل ذلك ؟ قال : العبرانية ، قلت : فما كان كلام الله الذي أنزله على رسله وعباده ذلك الزمان ؟ قال : العبرانية .

قرأت على أبي اليمان . قلت : أخبركم شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنه أخبره جزء بن جابر الخثعمي ، أنه سمع كعب الأحبار يقول : لما كلم الله موسى بالألسنة كلها قبل لسانه ، طفق موسى يقول : أي رب ما أفقه هذا ، حتى كلمه آخر الألسنة بلسانه بمثل صوته ، يعني بمثل لسان موسى ، وبمثل صوت موسى [1] .

حدثنا محمد بن عثمان التنوخي أبو الجماهر ، ثنا سعيد بن بشير عن قتادة

---

(١) هذا من الاسرائيليات التي لا يعتد بها ، والله تبارك وتعالى يقول : (ليس كمثله شيء) ، على أن في ثبوته عن كعب لأحبار نظراً ، فان جزء بن جابر راويه عن كعب ، مجهول الحال ، فقد ترجمه ابن أبي حاتم « ١/١/ ٥٤٦ — ٥٤٧ » ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .

في قوله تعالى : (إن الذين كفروا بالذكر) [1] بالقرآن(لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز) [1] أعزه الله ، لأنه كلامه(لا يأتيه الباطل) [2] وهو إبليس لا يستطيع أن ينتقص منه حقاً أو يزيد فيه باطلاً .

قال أبو سعيد رحمه الله : فهذه الأحاديث قد رويت وأكثر منها يشبهها كلها موافقة لكتاب الله في الإيمان بكلام الله ، ولولا ما اخترع هؤلاء الزائغة من هذه الأغلوطات والمعاني يردون بها صفات الله ويبدلون بها كلامه، لكان ما ذكر الله من ذلك في كتابه كافياً لجميع الأمة، مع أنه كميل شاف ،إلا لمتأول ضلال ، أو متبع ريبة . فحين رأينا ذلك ألفنا هذه الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم ، ليعلم من بقي من الناس أن من مضى من الأمة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عز وجل ، لا يعرفون له تأويلاً غير ما يتلى من ظاهره أنه كلام الرحمن تبارك وتعالى ، حتى نبغ هؤلاء الذين اقتربوا لرد كتاب الله عز وجل ، وتعطيل كلامه وصفاته المقدسة بهذه الأغلوطات التي لو ظهرت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ما كان سبيل من يظهرها بينهم إلا كسبيل أهل الردة ، أولها هذه الكلمة الملعونة التي فارقوا بها جميع أهل الصلاة فقالوا : كلام الله مخلوق . والحجج عليهم من رد ما أتوا به ما ذكرنا من كتاب الله ، وروينا من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده .

ثم عليهم حجج كثيرة من الكلام والنظر ، لا نحب ذكر كثير منها تخوفاً [من] أن لا تحتملها قلوب ضعفاء الناس ، ولكن يكفي من نظر فيما ذكرنا من كتاب الله عز وجل ، وروينا من هذه الآثار أن يعلم أن مخالفة هؤلاء للأمة قديماً وحديثاً فيقول لهم : وجدنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والأمة بعده سموه كلام الله ، وزعمتم أنتم أنه خلق الله ؟ فكفى بهذا مخالفة لله ولرسوله

---

(١) سورة فصلت ، الاية : ٤١ (٢) سورة فصلت ، الاية : ٤٢

وللأمة من بعده ، أو أتوا فيه بكتاب ناطق ، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أحد من أهل العلم أنـــه مخلوق ، ولن تأتوا به أبداً ، وكيف تأثرون الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإسلام بعدهم .

فذهب بعضهم يحتج بتفاسير مقلوبة ، وبمعانٍ لا أصل لها ، من كتـاب ، ولا سنة ، ولا اجماع ، إلا الكفر يقيناً . قلت لبعضهم : دعوا هذه الأغلوطات التي نحن بها أعلم منكم ، ولن ينزلكم الله من كتابه بالمنزلة التي يعتمد فيها على تفسيركم ، أو يقبل فيها شيء من آرائكم . وقد أتيناكم به منصوصاً عن الله وعن رسوله وعن الأمة بأجمعها أنه كلام الله حقاً ، فهاتوا عن أحد منهم منصوصاً أنه خلق الله كما ادعيتم ، والا فأنتم المفارقون لجماعة المسلمين قديماً وحديثاً ، الملحدون في آيات الله ، المفترون على الله وعلى كتابه ورسوله ، ولن تأتوا عن أحد منهم.

أرأيتم قولكم : إنه مخلوق ، فما بدء خلقه؟ قال الله له: (كن) فـكان كلاماً قائماً بنفسه بلا متكلم به . فقد علم الناس الا من شاء الله منهم أن الله عز وجل لم يخلق كلاماً يرى ويسمع بلا متكلم ، فلا بد من أن تقولوا في غواكم : الله المتكلم بالقرآن ، وأضفتموه إلى الله ، فهذا أجور الجور ، وأكذب الكذب أن تضيفوا كلام المخلوق إلى الخالق ، ولو لم يكن كفراً كان مكذباً لا شك فيه ، فكيف وهو كفر لا شك فيه ، لا يحق لمخلوق يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدعي الربوبية ، ويدعو الخلق إلى عبادته فيقول : (انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) [١] و (إني أنا ربك) [٢] (وأنا اخترتك) [٣] (واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري) [٤] (إنني معكما أسمع

---

(١) سورة طه ، الاية : ١٤ (٢) سورة طه ، الاية : ١٢

(٣) سورة طه ، الاية : ١٣ (٤) سورة طه ، الايتان : ٤١ ، ٤٢

وأرى)[1] (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[2] (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)[3] قد علم الخلق إلا من أضله الله أنه لا حق لأحد أن يقول هذا وما أشبهه غير الخالق ، بل القائل به والداعي إلى عبادته غير الله ، كافر ، كفرعون الذي قال: (أنا ربكم الأعلى)[4] والمجيب له والمؤمن بدعواه أكفر وأكذب.

وإن قلتم : إنه تكلم به مخلوق ، فأضفناه إلى الله ، لأن الخلق كلهم بصفاتهم وكلامهم لله ، فهذا المحال الذي ليس وراءه محال ، فضلاً على أن يكون كفراً، لأن الله عز وجل لم ينسب شيئاً من الكلام كله إلى نفسه أنه كلامه غير القرآن، وما أنزل على رسله . فإن قد تمّ كلامكم ولزمتموه ، لزمكم أن تسموا الشعر، وجميع الغناء ، والنوح ، وكلام السباع ، والطير ، والبهائم كلام الله ، فهذا ما لا يختلف المصلون في بُطوله واستحالته . فما فضل القرآن إذاً عندكم على الغناء والنوح والشعر إذ كان كله في دعواكم كلام الله ؟ فكيف خص القرآن بأنه كلام الله ، ونسب كل كلام سواه إلى قائله ؟ فكفى بقوم ضلالاً أن يدّعوا دعوى لا يشك الموحدون في بطوله واستحالته . ومما يزيد دعواكم تكذيباً واستحالة ، ويزيد المؤمنين بكلام الله إيماناً وتصديقاً، أن الله عز وجل قد ميز بين من كلم من رسله في الدنيا وبين من لم يكلم ، ومن يكلم من خلقه في الآخرة ، ومن لا يكلم ، فقال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات)[5] فميز بين من اختصه بكلامه وبين من لم يكلمه ، ثم سمى ممن كلم ، موسى فقال : (وكلم الله موسى تكليماً)[6] فلو لم يكلمه بنفسه إلا على تأويل ما ادعيتم ، فما فضل ما ذكر الله من تكليمه إياه على غيره

---

(١) سورة طه ، الاية : ٤٦ (٢) سورة الذاريات ، الاية : ٥٦

(٣) سورة يس ، الايتان: ٦٠،٦١ (٤) سورة النازعات ، الاية : ٢٤

(٥) سورة البقرة ، الاية : ٢٥٣ (٦) سورة النساء ، الاية : ١٦٣

ممن لم يكلمه ؟ إذ كلٌ الرسل في تكليم الله إياهم مثل موسى ، وكلٌ عندكم لم يسمع كلام الله فهذا محال من الحجج ، فضلاً [عن] أن يكون رداً لكلام الله وتكذيباً لكتابه ، ولم يقل : (منهم من كلم الله)[1] الا وأن حالتيها مختلفتان في تكليم الله إياهم . فما يزيد ذلك تحقيقاً قوله : (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله)[2] يعني يوم القيامة ، ففي هذا بيان بين أنه لا يعاقب قوماً يوم القيامة بصرف كلامه عنهم ، إلا وأنه مثيب بتكليمه قوماً آخرين .

ثم قد ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بين من يكلمه الله يوم القيامة وبين من لا يكلمه ، فمن ذلك ما روينا في هذا الباب ، عن عدي بن حاتم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ». والحديث الآخر ، ما روينا عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله القيامة » . ففي هذين الحديثين أيضاً بيان بين على نفس كلام الله عز وجل أنه يكلم أقواماً ولا يكلم آخرين ، ولو كان كما ادعيتم ، كان المثاب بكلام الله والمعاقب به المصروف عنه سواء عندكم . ألا ترى أن أبا ذر سأل رسول الله ﷺ عن آدم صلوات الله عليه : أنبياً كان ؟ قال : « نعم مكلماً » فهذا ينبئك أنه أراد نفس كلام الله ، لا كلام من سواه ، ولو كان مكلماً بكلام المخلوقين في دعواكم ، لم يكن فيه كبير فضيلة لآدم على غيره من الخلق ، لأن عامة الخلق يكلم بعضهم بعضاً ، فهم مكلمون ، فما فضل آدم في هذا عندكم على من سواه من ذريته ؟ وقد قال تبارك وتعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)[3].

---

(١) سورة البقرة ، الاية : ٢٥٣ (٢) سورة آل عمران ، الاية : ٧٧

(٣) سورة البقرة ، الاية : ٣٧

باب الإحتجاج للقرآن أنّه غير مخلوق

قال أبو سعيد رحمه الله: فمن ذلك ما أخبر الله تعالى في كتابه عن زعيم هؤلاء الأكبر، وإمامهم الأكفر، الذي ادعى أولاً أنه مخلوق، وهو الوحيد، واسمه الوليد بن المغيرة، فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه، ثم أنكر عليه دعواه وردها عليه، ووعده النار إن ادعى أن قول الله قول البشر. وقوله: (إن هذا إلا قول البشر)[1] وقول هؤلاء الجهمية: هو مخلوق، واحد لا فرق بينهما، فبئس التابع وبئس المتبوع! قال الله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيداً)[2] إلى قوله: (ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا الا قول البشر سأصليه سقر)[3] يعني أنه ليس بقول البشر كما ادعى الوليد، ولكنه قول الله عز وجل.

فحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا ابن نمير، ثنا إسماعيل بن ابراهيم بن المهاجر قال: سمعت أبي يذكر عن مجاهد في قوله: (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً)[4] قال: ذلك الوليد بن المغيرة المخزومي، والمال الممدود: ألف دينار، والبنين الشهود: عشرة بنين - قال - فلم يزل النقصان في ماله وولده حين تكلم بما تكلم حتى مات.

قال أبو سعيد: وكذلك صار لأتباعه الذين تلقفوا منه هذه الكلمة خزي وتباب في كل شيء من أمرهم.

ومما يحتج به أيضاً عليهم من كتاب الله عز وجل قول الله عز وجل: (قل

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٢٥ (٢) سورة المدثر، الآية: ١١

(٣) سورة المدثر، الآيات: ٢٢-٢٦ (٤) سورة المدثر، الآيات: ١١-١٣

لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[1] وقوله : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)[2] تثبيتاً أنهم لا يفعلونه أبداً ، وقوله : (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)[3].

ففي هذا بيان بين أن القرآن خرج من الخالق لا من المخلوقين ، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين ، ولو كان كلام المخلوقين منهم لقدر المخلوق الآخر أن يأتي بمثله أو بأحسن منه ، لأنه لم يتكلم مخلوق بحق وباطل من الشعر ، أو الخطب ، أو المواعظ ، أو من كلام الحكمة ، أو غير ذلك ، إلا وقد أتى بمثله أو بأحسن منه نظراؤه ، ممن هم في عصره أو من بعده . فهذا قد ثبّت الله عليه الشهادة أنه لا يأتي بمثله جن ولا انس ، لأنه منه ، وصدق الله وبلغ رسوله ، لم يأتوا بمثله منذ مائتين وخمسين سنة ، ولا يأتون بمثله الى خمسين ألف سنة ، فكيف يفعلونه وقد قال الله عز وجل: (لن تفعلوا)[2] و: (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[1] ففي هذا بيان بيِّن أنه كلام الخالق نفسه ، وأنه غير مخلوق .

ومما يحتج به عليهم أنه غير مخلوق من قول رسول الله ﷺ قوله : « فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . حدثنا به شهاب بن عباد العبدي الكوفي ، ثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمداني ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

---

(١) سورة الاسراء ، الاية : ٨٨ (٢) سورة البقرة ، الايتان : ٢٣، ٢٤

(٣) سورة هود ، الاية : ١٣

حدثنا عقبة بن مكرم البصري ، ثنا معلى بن أسد ، ثنا محمد بن سواء ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن أشعث الحداني ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة رضي الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه » .

وحدثني محمد بن حميد الرازي ، حدثنا اسحاق بن سليمان الرازي ، ثنا الجراح بن الضحاك الكندي ، عن علقمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » ـ قال أبو عبد الرحمن : فهذا الذي أجلسني هذا المجلس ـ ، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الخالق على المخلوق ، وذلك أنه منه » .

قال أبو سعيد : ففي هذه الأحاديث بيان أن القرآن غير مخلوق، لأنه ليس شيء من المخلوقين من التفاوت في فضل ما بينهما كما بين الله وبين خلقه في الفضل ، لأن فضل ما بين المخلوقين يستدرك ، ولا يستدرك فضل الله على خلقه ، ولا يحصيه أحد ، ولذلك فضَّل كلامه على كلام المخلوقين ، ولو كان كلاماً مخلوقاً لم يكن فضَّل ما بينه وبين سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه ، ولا كعشر عشر جزء من ألف ألف جزء ، ولا قريباً ولا قريباً ، فافهموه فإنه ليس كمثله شيء ، فليس ككلامه كلام ، ولن يؤتى بمثله أبداً .

حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري ، ثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن ثابت بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل ، له دوي كدوي النحل يقول : يارب منك خرجت ، وإليك أعود ، أتلى ولا يُعمل بي ، أتلى ولا يُعمل بي[1] . سمعت اسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال سفيان بن عيينة: قال عمرو بن دينار : أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونهم ، منذ

---

(١) كذا الاصل ، مكرراً .

سبعين سنة يقولون : الله الخالق وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله ، منه خرج ، وإليه يعود .

حدثنا علي بن المديني ، ثنا موسى بن داود ، ثنا معبد – قال : قال علي : وهو ابن راشد – عن معاوية بن عمار قال : قيل لجعفر بن محمد : القرآن خالق أو مخلوق ؟ قال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله .

حدثنا محمد بن منصور الذي يقال له : الطوسي ، من أهل بغداد ، وكان ثقة قال : حدثني علي بن مضاء مولى خالد القسري ، قال : سمعت ابن المبارك بـ (المصيصة) وسأله رجال عن القرآن فقال : هو كلام الله غير مخلوق . وحدثنا محمد بن منصور قال : حدثني علي بن المضاء ، قال : سمعت بقيـة بن الوليد يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . وحدثنا محمد بن منصور ، ثنا علي بن المضاء ، قال : سمعت عيسى بن يونس يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . حدثنا محمد بن منصور ، ثنا علي بن المضاء قال : سمعت القاسم الجزري يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق .

حدثنا محمد بن منصور ، ثنا علي بن المضاء ، ثنا هشام بن بهرام ، قال : سمعت المعافى بن عمران يقول : القرآن كلام الله ، غير مخلوق . قال هشام : وأنا أقول كما قال المعافى . قال علي : وأنا أقول كما قال هشام . قال محمد بن منصور : وأنا أقول كما قالوا خمسين مرة . قال أبو سعيد : وأنا أقول كما قالوا سبعين مرة . قال القرشي : وأنا أقول كما قالوا . قال الأزدي : وأنا أقول كما قالوا عدد أيام الدهر من أوله الى آخره ، وبه ألقى الله عز وجـل ورسوله صلى الله عليـه وسلم . قال أبو روح : وأنا أقول بعدد من يبصر ومن لا يبصر . وقال شيخنا أبو عبد الله : وأنا أقول بعدد جميع الخلائق .

سمعت محمد بن منصور يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حدثان ما استخلف جعفر ، فقلت له : إن ناساً يقولون : القرآن مخلوق . فقال

بوجهه هكذا كأنه أعرض . فقلت : أليس كلام الله غير مخلوق ؟قال :« نعم» ثم قلت له مرة أخرى ، فقال : « نعم » .

حدثنا عبد الله بن صالح المصري ، ثنا يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، عن رجل من شيوخ أهل مصر، أنه حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : « القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض وما فيهن » .

قال أبو سعيد : فهذا ينبئك أنه نفس كلام الله، وأنه غير مخلوق،لأن الله عز وجل لم يخلق كلاماً إلا على لسان مخلوق . فلو كان القرآن مخلوقاً كما يزعم هؤلاء المعطلون ، كان إذاً من كلام المخلوقين ، وكل هذه الروايات والحكايات والشواهد والدلائل قد جاءت وأكثر منها ، في أنه غير مخلوق. ثم إحاطة علم العلماء وعقول العقلاء ، بأن كلام الخالق لا يكون مخلوقاً أبداً ، إذا كان في دعواهم قبل أن يخلق الكلام منقوصاً مضطراً إلى الكلام حتى خلقه وكملت ربوبيته وتمت وحدانيته بمخلوق في دعواهم .

باب الإحتجاج على الواقفة

قال أبو سعيد ـ رحمه الله ـ :ثم إن ناساً ممن كتبوا العلم بزعمهم ، وادعوا معرفته ، وقفوا في القرآن فقالوا : لا نقول : مخلوق هو ، ولا غير مخلوق ، ومع وقوفهم هذا لم يرضوا حتى ادّعوا أنهم ينسبون إلى البدعة من خالفهم وقال بأحد هذين القولين . فقلنا لهذه العصابة : أما قولكم :مبتدع ، فظلم وحيف في دعواكم حتى تفهموا الامر وتعقلوه ، لأنكم جهلتم أي الفريقين أصابوا السنّة والحق ، فيكون من خالفهم مبتدعة عندكم ، والبدعة أمرها شديد ،

والمنسوب اليها سيء الحال بين أظهر المسلمين ، فلا تعجلوا بالبدعة حتى تستيقنوا وتعلموا أحقاً قال أحد الفريقين أم باطلاً ؟. وكيف تستعجلون أن تنسبوا إلى البدعة أقواماً في قول قالوه ، ولا تدرون أنهم أصابوا الحق في قولهم ذلك أم أخطؤوه ، ولا يمكنكم في مذهبكم أن تقولوا لواحد من الفريقين: لم تصب الحق بقولك ، وليس كما قلت . فمن أسفه في مذهبه ، وأجهل ممن ينسب إلى البدعة أقواماً يقول: لا ندري أهو كما قالوا ، أم ليس كذلك ، ولا يأمن في مذهبه أن يكون أحد الفريقين أصابوا الحق والسنَّة ، فسمَّاهم مبتدعة ، ولا يأمن في دعواه أن يكون الحق باطلاً ، والسنَّة بدعة؟ هذا ضلال بين وجهل غير صغير.

وأما قولكم: لا ندري ، مخلوق هو أم غير مخلوق ، فإن كان ذلك منكم قلة علم به وفهم ، فإن بيننا وبينكم فيه النظر بما يدل عليه الكتاب والسنّة ، ويحتمل بالعقول[1] . وجدنا الأشياء كلها شيئين: الخالق بجميع صفاته ، والمخلوقين بجميع صفاتهم ، فالخالق بجميع صفاته غير مخلوق ، والمخلوق بجميع صفاته مخلوق . فانظروا في هذا القرآن ، فإن كان عندكم صفة المخلوقين ، فلا ينبغي أن تشكّوا في المخلوقين وفي كلامهم وصفاتهم أنها مخلوقة كلها لا شك فيها ، فيلزمكم في دعواكم حينئذ أن تقولوا كما قالت الجهمية ، فلتستريحوا من القال والقيل فيه ، وتغيِّروا عن ضمائركم . وإن كان عندكم هو صفة الخالق وكلامه حقاً ، ومنه خرج ، فلا ينبغي لمصلّ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يشك في شيء من صفات الله وكلامه الذي خرج منه أنه غير مخلوق ، هذا واضح لا لبس فيه إلا على من جهل العلم أمثالكم ، وما فرق بينكم وبين من قال : هو مخلوق إلا يسير ، يزعم أولئك أنه كلام الله مضاف إليه مخلوق ، وزعمتم أنتم أنه كلام الله ، ولا تدرون مخلوق هو أو غير مخلوق ، فإذا لم تدروا لم تأمنوا في مذهبكم أن يكون أولئك الذين قالوا : مخلوق ، قد أصابوا من قولكم ، فكيف تنسبونهم الى البدعة وأنتم في شك من أمرهم ؟! فلا يجوز لرجل أن ينسب رجلاً الى بدعة بقول أو

---

(١) الاصل : المقول .

فعل ، حتى يستيقن أن قوله ذلك وفعله باطل ليس كما يقول ، فلذلك قلنا :إن فرق ما بينكم يسير،لأن أولئك ادَّعوا أنه مخلوق ، وزعمتم أنتم أنه كلام الله . ومن زعم أنه غير مخلوق ، فقد ابتدع وضل في دعواكم ، فإن كان الذي يزعم أنه غير مخلوق مبتدعاً عندكم لا تشكون فيه أنه لمخلوق عندكم حقاً لا شك فيه، ولكن تستترون من الافتضاح به مخافة التشنيع ، وجعلتم أنفسكم جنة ودلسة للجهمية عند الناس ، تصوبون آراءهم ، وتحسنون أمرهم وتنسبون إلى البدعة من خالفهم .

والحجة على هذه العصابة أيضاً جميع ما احتججنا به من كتاب الله في في تحقيق كلام الله ، وما روينا فيه من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن بعده ،أن القرآن نفس كلام الله، وأنه غير مخلوق.فهي كلها داخلة عليهم كما تدخل على الجهمية ،لأن كل من آمن بالله وصدَّقه في قوله : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[1] وفي قوله : (يريدون أن يبدلوا كلام الله)[2] فأيقن بأنه كلامه حقاً كما سماه أصدق القائلين ، لزمه الايمان بأنه غير مخلوق ، لأن الله تبارك وتعالى لم يجعل كلاماً مخلوقاً لنفسه صفة وكلاماً ، ولم يضف إلى نفسه كلام غيره ، لأنه أصدق القائلين ، ولا يقاس كلام الله ، ببيت الله ، وعبد الله ، وخلق الله ، وروح الله ، لأن الخلق[3] ليس من الله ولا من صفاته ، وكلامه صفته، ومنه خرج،فلا يضاف إلى الله من الكلام إلا ماتكلم به ، ولو جاز أن ينسب كلام مخلوق إلى الله ، فيكون لله كلاماً وصفة ، كما يضاف إليه بيت الله ، وعبد الله ، لجاز أن تقول : كل ما يتكلم به آناء الليل والنهار ، من حق ، أو باطل ، أو شعر ، أو غناء ، أو نوح ؛ كلام الله ، فما فضل القرآن في هذا القياس على سائر كلام المخلوقين إن[كان] كله ينسب إلى الله ،ويقام

---

(١) سورة التوبة ، الاية : ٧ (٢) سورة الفتح ، الاية : ١٥

(٣) أي : المخلوق .

لله صفة وكلاماً في دعواكم ؟ فهذا ضلال بيِّن ، مع أنا قد كفينا مؤونة النظر بما في كتاب الله من البيان ، وفي الأثر من البرهان ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال أبو سعيد ـ رحمه الله ـ : احتججنا بهذه الحجج وما أشبهها على بعض هؤلاء الواقفة ، وكان من أكبر احتجاجهم علينا في ذلك أن قالوا : إن ناساً من مشيخة رواة الحديث الذين عرفناهم عن قلة البصر بمذاهب الجهمية ، سئلوا عن القرآن فقالوا : لا نقول فيه بأحد القولين ، وأمسكوا عنه إذ لم يتوجهوا لمراد القوم ، لأنها كانت أغلوطة وقعت في مسامعهم ، لم يعرفوا تأويلها ، ولم يبتلوا بها قبل ذلك ، فكفوا عن الجواب فيه وأمسكوا . فحين وقعت في مسامع غيرهم من أهل البصر بهم ، وبكلامهم ومرادهم ، ممن جالسوهم وناظروهم وسمعوا قبح كلامهم ، مثل من سمينا ، مثل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، وابن المبارك ، وعيسى بن يونس ، والقاسم الجزري ، وبقية بن الوليد ، والمعافى بن عمران ، ونظرائهم من أهل البصر بكلام الجهمية ، لم يشكوا أنها كلمة كفر ، وأن القرآن نفس كلام الله ، كما قال الله تبارك وتعالى ، وأنه غير مخلوق ، إذ رد الله على الوحيد قوله : إنه قول البشر ، وأصلاه عليه سقر ، فصرحوا به على علم ومعرفة أنه غير مخلوق ، والحجة بالعارف بالشيء لا بالغافل عنه القليل البصر به ، فتعلق هؤلاء فيه بامساك أهل البصر ، ولم يلتفتوا إلى قول من استنبطه وعرف أصله . فقلنا لهم : إن يك جبن هؤلاء الذين احتججنا بهم من قلة بصر ، فقد اجترأ هؤلاء ، وصرحوا ببصر ، وكانوا من أعلام الناس ، وأهل البصر بأصول الدين وفروعه ، حتى أكفروا من قال : مخلوق ، غير شاكين في كفرهم ، ولا مرتابين فيهم .

باب الاحتجاج في إكفار الجهمية

قال أبو سعيد ـ رحمه الله ـ : ناظرني رجل ببغداد منافحاً عن هؤلاء الجهمية فقال لي : بأية حجة تكفّرون هؤلاء الجهمية ، وقد نهي عن إكفار أهل القبلة؟ بكتاب ناطق تكفرونهم ، أم بأثر ، أم بإجماع؟ فقلت : ما الجهمية عندنا من أهل القبلة ، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور ، وأثر مأثور ، وكفر مشهور.

أما الكتاب ، فما أخبر الله عز وجل عن مشركي قريش من تكذيبهم بالقرآن ، فكان من أشد ما أخبر عنهم من التكذيب أنهم قالوا : هو مخلوق ، كما قالت الجهمية سواء . قال الوحيد، وهو الوليد بن المغيرة المخزومي : (إن هذا إلا قول البشر) [1] وهذا قول جهم : إن هذا إلا مخلوق ، وكذلك قول من يقول بقوله ، وقول من قال : (إن هذا إلا إفك افتراه) [2] و(إن هذا إلا أساطير الأولين [3] و (إن هذا إلا اختلاق) [4] معناهم في جميع ذلك، ومعنى جهم في قوله، يرجعان إلى أنه مخلوق ليس بينهما فيه من البون ، كغرز إبرة ، ولا كقيس شعرة . فبهذا نكفرهم كما أكفر الله به أئمتهم من قريش وقال: (سأصليه سقر) [5] إذ قال (إن هذا إلا قول البشر) [6] لأن كل إفك وتقوّل وسحر واختلاق وقول البشر ، كله لا شك في شيء منه أنه مخلوق، فاتفق من الكفر ـ بين الوليد بن المغيرة، وجهم بن صفوان ـ الكلمة ، والمراد في القرآن أنه مخلوق، فهذا الكتاب الناطق في إكفارهم .

---

(١) سورة المدثر ، الاية : ٢٥
(٢) سورة الفرقان ، الاية : ٤
(٣) سورة الانعام ، الاية : ٢٥
(٤) سورة ص ، الاية : ٧
(٥) سورة المدثر ، الاية ٢٦
(٦) كذا الاصل، ولا يخلو من غموض

وأما الأثر فيه ، فما حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد وجرير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرمة ، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .أُتي بقوم من الزنادقة فحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه» ولما حرقتهم ، لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعذبوا بعذاب الله » زاد سليمان في حديث جرير :فبلغ علياً ما قال ابن عباس رضي الله عنهم ،فقال: ويح ابن أم الفضل ، إنه لغواص على الهنات .

قال أبو سعيد : فرأينا هؤلاء الجهمية ، أفحش زندقة ، وأظهر كفراً ، وأقبح تأويلاً لكتاب الله ورد صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم علي عليه السلام وحرقهم . فمضت السُنة من علي وابن عباس رضي الله عنهما في قتل الزنادقة ، لأنها[1] كفر عندهما ، وأنهم عندهما ممن بدَّل دين الله ، وتأولا في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يجب على رجل قتل في قول يقوله ، حتى يكون قوله ذلك كفراً ، لا يجب فيما دون الكفر قتل إلا عقوبة فقط ، فذاك الكتاب في إكفارهم ، وهذا الأثر .

ونكفرهم أيضاً بكفر مشهور ، وهو تكذيبهم بنصِّ الكتاب . أخبر الله تبارك وتعالى أن القرآن كلامه ، وادعت الجهمية أنه خلقه ، وأخبر الله تبارك وتعالى أنه كلم موسى تكليماً .وقال هؤلاء : لم يكلمه الله بنفسه ، ولم يسمع موسى نفس كلام الله ، إنما سمع كلاماً خرج إليه من مخلوق . ففي دعواهم دعا مخلوق موسى إلى ربوبيته فقال : (إني أنا ربك فاخلع نعليك)[2] فقال له موسى في دعواهم : صدقت ، ثم أتى فرعون يدعوه أن يجيب الى ربوبية مخلوق كما أجاب موسى في دعواهم فما فرق بين موسى وفرعون في مذهبهم في الكفر ، إذاً فأي كفر أوضح[3] من هذا ! وقال الله تبارك وتعالى : (إنما

---

(١) في الاصل : لما أنها .

(٢) سورة طه ، الآية : ١٢

(٣) الاصل : بأوضح .

قولنا لشيء إذا أردناه كن فيكون)[1] وقال هؤلاء : ما قال لشيء قط قولاً وكلاماً : كن فكان ، ولا يقوله أبداً ، ولم يخرج منه كلام قط، ولا يخرج، ولا هو يقدر على الكلام في دعواهم ،فالصنم في دعواهم والرحمن بمنزلة واحدة في الكلام،فأي كفر أوضح[2] من هذا ! وقال الله تبارك وتعالى : (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)[3] و(ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ)[4] (وبيدك الخير إنك على كل شيء قدير)[5] وقال : (يد الله فوق أيديهم)[6] قال هؤلاء : ليس لله يد ، وما خلق آدم بيديه ، إنما يداه نعمتاه ورزقاه . فادعوا في يدي الله أوحش مما ادعته اليهود ، (قالت اليهود : يد الله مغلولة) [3] وقالت الجهمية : يد الله مخلوقة، لأن النعم والأرزاق مخلوقة لا شك فيها ، وذاك محال في كلام العرب ، فضلا أن يكون كفراً ، لأنه يستحيل أن يقال :خلق آدم بنعمته ، ويستحيل أن يقال : في قول الله تبارك وتعالى : (بيدك الخير)[5]: بنعمتك الخير ، لأن الخير نفسه هو النّعم نفسها ، ومستحيل أن يقال في قول الله عز وجل : (يد الله فوق أيديهم)[6] : نعمة الله فوق أيديهم ، وإنما ذكرنا ها هنا اليد ، مع ذكر الأيدي في المبايعة بالأيدي ، فقال: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه)ويستحيل أن يقال: (يداه مبسوطتان)[3] نعمتاه ، فكأن ليس له إلا نعمتان مبسوطتان. لا تحصى نعمه ، ولا تستدرك ، فلذلك قلنا : إن هذا التأويل محال من الكلام، فضلًا أن يكون كفراً .

ونكفرهم أيضاً بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجهاً ، ولا سمعاً ، ولا بصراً، ولا علماً ، ولا كلاماً، ولا صفة ، إلا بتأويل

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٠

(٢) الاصل : بأوضح .

(٣) سورة المائدة ، الاية : ٦٤

(٤) سورة ص ، الاية : ٧٥

(٥) سورة آل عمران ، الاية : ٢٦

(٦) سورة الفتح ، الاية : ١٠

ضلال ،افتضحوا ، وتبينت عوراتهم . يقولون : سمعه ، وبصره ، وعلمه ، وكلامه ، بمعنى واحد ، وهو بنفسه في كل مكان ، وفي كل بيت مغلق وصندوق مقفل ، قد أحاطت به في دعواهم حيطانها وأغلاقها وأقفالها ، فإلى الله برأ من إله هذه صفته ، وهذا أيضاً مذهب واضح في إكفارهم .

ونكفرهم أيضاً أنهم لا يدرون أين الله ، ولا يصفونه بأين ، والله قد وصف نفسه (بـ) أين . فقال : (الرحمن على العرش استوى)[1] (وهو القاهر فوق عباده)[2] و(إني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا)[3] و(يخافون ربهم من فوقهم)[4] (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض)[5] ونحو هذا ،فهذا كله وصف (بـ)أين . ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأين ، فقال للأمة السوداء : «أين الله ؟» قالت : في السماء ، قال : «من أنا؟» قالت : أنت رسول الله ، قال : «اعتقها فإنها مؤمنة» . والجهمية تكفر به ، وهذا أيضاً من واضح كفرهم ، والقرآن كله ينطق بالرد عليهم ، وهم يعلمون ذلك أو بعضهم ، ولكن يكابرون ويغالطون الضعفاء ، وقد علموا أنه ليس من حجة أنقض لدعواهم من القرآن ، غير أنهم لا يجدون إلى رفع الأصل سبيلاً مخافة القتل والفضيحة ، وهم عند أنفسهم بما وصف الله به فيه نفسه جاحدون . قد ناظرنا بعض كبرائهم ، وسمعنا ذلك منهم منصوصاً مفسراً . ويقصدون أيضاً بعبادتهم الى إله تحت الأرض السفلى ، وعلى ظهر الأرض العليا ، ودون السماء السابعة العليا . وإله المصلين من المؤمنين الذين يقصدون اليه بعبادتهم ، الرحمن الذي فوق السماء السابعة العليا ، وعلى عرشه العظيم استوى ، وله الأسماء الحسنى ،تبارك اسمه وتعالى.فأي كفر أوضح[6] مما

---

(١) سورة طه ، الاية : ٥ (٢) سورة الانعام ، الاية : ١٨

(٣) سورة آل عمران ، الاية : ٥٥ (٤) سورة النحل ، الاية : ٥٠

(٥) سورة الملك ، الاية : ١٦ (٦) في الاصل : بأوضح

حكيناه عنهم من سوء مذاهبهم ،ما زاد[1] ماني وشمعلة الزنديقان .

قال أبو سعيد : فقال لي المناظر الذي ناظرني : أردت ارادة منصوصة في اكفار الجهمية باسمهم ، وهذا الذي رويت عن علي رضي الله عنه في الزنادقة ، فقلت : الزنادقة والجهمية أمرهما واحد ، ويرجعان الى معنى واحد ، ومراد واحد ، وليس قوم أشبه بقوم منهم بعضهم ببعض ، وإنما يشبه كل صنف وجنس بجنسهم وصنفهم ، فقد كان ينزل بعض القرآن خاصاً في شيء ، فيكون عاماً في مثله وما أشبهه ، فلم يظهر جهم وأصحاب جهم في زمن أصحاب رسول الله ﷺ وكبار التابعين ، فيروى عنهم فيها أثر منصوص مسمى ، ولو كانوا بين أظهرهم مظهرين آراءهم لقتلوا ، كما قتل علي رضي الله عنه الزنادقة التي ظهرت في عصره ، ولقتلوا كما قتل أهل الردة . ألا ترى أن الجعد بن درهم أظهر بعض رأيه في زمن خالد القسري ، فزعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، فذبحه خالد بواسط يوم الأضحى على رؤوس من حضره من المسلمين ، لم يعبه به عائب ، ولم يطعن عليه طاعن ، بل استحسنوا ذلك من فعله ، وصوبوه ، وكذلك لو ظهر هؤلاء في زمن أصحاب رسول الله ﷺ وكبار التابعين ، ما كان سبيلهم عند القوم إلا القتل ، كسبيل أهل الزندقة ، وكما قتل علي رضي الله عنه من ظهر منهم في عصره وأحرقه ، وظهر بعضهم بالمدينة في عهد سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فأشاروا على والي المدينة يومئذ بقتله .

ويكفي العاقل من الحجج في إكفارهم ما تأولنا فيه من كتاب الله ، وروينا فيه عن علي وابن عباس رضي الله عنهما ، وما فسرنا من واضح كفرهم وفحش مذاهبهم شيئاً شيئاً . فأما إذ أبيتم أن تقبلوا إلا المنصوص فيهم ، المقصود بها اليهم بجلاهم وأسمائهم ، فسنروي ذلك عن بعض من ظهر ذلك بين أظهرهم من العلماء .

---

(١) كذا الأصل ولعل الصواب « مما زاد على مذهب » .

حدثني محمد بن المعتمر السجستاني أبو سهل ، وكان من أوثق أهل سجستان وأصدقهم ، عن زهير بن نعيم البابي أنه سمع سلام بن أبي مطيع يقول : الجهمية كفار . وسمعت محمد بن المعتمر يقول : سمعت زهير بن نعيم يقول : سئل حماد ابن زيد وأنا معه في سوق البصرة عن بشر المريسي فقال : ذاك كافر . قال أبو سعيد : وبلغني عن يزيد بن هارون أنه قال : الجهمية كفار ، وقال : حرضت غير مرة أهل بغداد على قتل المريسي .

حدثنا يحيى الحماني ، ثنا الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك يقول : من زعم أن قوله: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا)[1] مخلوق فهو كافر. سمعت محبوب ابن موسى الأنطاكي يذكر أنه سمع وكيعاً يكفر الجهمية . قال أبو سعيد : وحدثت عن سفيان الثوري ، عن حماد بن أبي سليمان أنه كفر من زعم أن القرآن مخلوق . وسمعت يحيى بن يحيى يقول : القرآن كلام الله ، من شك فيه ، أو زعم أنه مخلوق ، فهو كافر . وسمعت الربيع بن نافع أبا توبة يكفر الجهمية .

قال أبو سعيد : فهؤلاء الذين أكفروهم في آخر الزمان ، وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما في أول الزمان ، وأنزلاهم منزلة من بدّل دينه ، فاستحقوا القتل بتبديله .

حدثنا الحماني ، ثنا إبراهيم بن منصور العلاف - وأثنى عليه هو ومن حضر المجلس خيراً - قال : لما كان أيام المحنة ، فأخرج النفر الى المامون فامتحنوا وردوا ، لقيت أعرابياً فقال لي : ألا أحدثك عجباً ؟ قلت : ما ذاك ؟ قال : رأيت في المنام كأن نفراً ثلاثين أو أكثر ، جيء بهم من قبل المشرق أو المغرب ، فنظرت اليهم فإذا بطونهم مشققة ليس في أجوافهم شيء ، فقيل : هؤلاء الذين كفروا بالقرآن ، والأعرابي لا يدري ما المحنة ، وما سببهم .

---

(١) سورة طه ، الآية : ١٤

حدثنا الزهراني أبو الربيع ، قال : كان من هؤلاء الجهمية رجل ، وكان الذي يظهر من رأيه الترفض ، وانتحال حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه : قد علمت أنكم لا ترجعون الى دين الاسلام ، ولا تعتقدونه ، فما الذي حملكم[1] على الترفض وانتحال حب علي؟ قال: إذاً أصدقك أنا ، إن أظهرنا رأينا الذي نعتقده رمينا بالكفر والزندقة ، وقد وجدنا أقواماً ينتحلون حب علي ويظهرونه ، ثم يقعون بمن شاؤوا ، ويعتقدون ما شاؤوا ، ويقولون ما شاؤوا ، فنسبوا بذلك الى الترفض والتشيع ، فلم نر لمذهبنا أمراً ألطف من انتحال حب هذا الرجل ، ثم نقول ما شئنا ، ونعتقد ما شئنا ، ونقع بمن شئنا ، فلأن يقال لنا : رافضة ، أو شيعة ، أحب الينا من أن يقال زنادقة كفار ، وما علي عندنا أحسن حالاً من غيره ممن نقع بهم .

قال أبو سعيد رحمه الله : وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ ، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم وبصرائهم أنهم يستترون بالتشيع ، يجعلونه تثبيتاً لكلامهم وخبطهم وسلماً وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة ، ثم يبذرون بين ظهراني خبطهم بذر كفرهم وزندقتهم ، ليكون أنجع في قلوب الجهال وأبلغ فيهم ، ولئن كان أهل الجهل في شك من أمرهم ، إن أهل العلم منهم لعلى يقين ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

بَابُ قتل الزنَادقة وَالجهْميّة وَاسْتتابتهم مِن كفرهم

حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، أن أبا بكر بن عياش حدثهم عن أبي حصين ، عن سويد بن غفلة ، أن علياً رضي الله عنه قتل زنادقة ثم أحرقهم ثم قال : صدق الله ورسوله .

---

(١) في الاصل : سنتكم .

حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، وجرير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرمة ، أن علياً رضي الله عنه أتي بقوم من الزنادقة فحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما حرقتهم ، لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » . وقال : « لا تعذبوا بعذاب الله » . وزاد سليمان في حديث جرير قال : فبلغ علياً ما قال ابن عباس رضي الله عنهما فقال : ويح ابن أم الفضل ، إنه لغواص على الهنات .

قال أبو سعيد رحمه الله : فالجهمية عندنا زنادقة من أخبث الزنادقة ، نرى أن يستتابوا من كفرهم ، فإن أظهروا التوبة تركوا ، وإن لم يظهروها تركوا ، وإن شهدت عليهم بذلك شهود فأنكروا ولم يتوبوا ، قتلوا . كذلك بلغنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سنَّ في الزنادقة .

حدثناه يحيى بن يحيى ، أنبأ هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي إدريس قال : أتي علي بن أبي طالب بقوم من الزنادقة فأنكروا ، فقامت عليهم البينة فقتلهم [1] [وقال] : هذا قد استتبته فاعترف بذنبه فخليت سبيله .

وحدثنا القاسم بن محمد البغدادي ، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب ، عن أبيه عن جده حبيب بن أبي حبيب قال : خطبنا خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم الأضحى فقال : أيها الناس : ارجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليماً ، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً ، ثم نزل فذبحه .

---

(١) رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير أن هشيماً مدلس وقد عنعنه. ثم هو يشهد على خلاف ما ذهب إليه المؤلف ، لأنه صريح في أنهم قتلوا مع إنكارهم ، فتأمل.

حدثنا هشام بن منصور البغدادي المكفوف ، ثنا أحمد بن سليمان الباهلي ، ثنا خلف بن خليفة الأشجعي قال : أتي خالد بن عبد الله القسري برجل قد عارض القرآن فقال : قال الله في كتابه : (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر)[1] وقلت أنا : ما هو أحسن منه (إنا أعطيناك)[2] الجماهر (فصل لربك)[3] وجاهر ، ولا تطع كل ساقه وكافر ، فضرب خالد عنقه وصلبه ، فمر به خلف بن خليفة وهو مصلوب فضرب بيده على خشبته فقال : (إنا أعطيناك)[2] العمود (فصل لربك)[3] على عود ، فأنا ضامن لك أن لا تعود .

حدثنا موسى بن إسماعيل قال : قلت لابراهيم بن سعد : ماتقول في الزنادقة ، ترى أن نستتيبهم ؟ قال : لا ، قلت : فبم تقول ذلك ؟ قال : كان علينا وال بالمدينة ، فقتل منهم رجلا ولم يستتبه ، فسقط في يده ، فبعث الى أبي فقال له أبي : لا يهدينك ، فإنه قول الله عز وجل :(فلما رأوا بأسنا) قال السيف ، (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا)[4] قال : السيف ، فقال : سنته القتل . وسمعت الربيع ابن نافع أبا توبة الحلبي يقول : ناظرت أحمد بن حنبل رحمه الله في قتل هؤلاء الجهمية فقال : يستتابون ، فقلت له : أما خطباؤهم فلا يستتابون ، وتضرب أعناقهم .

حدثنا يحيى بن بكير المصري ، ثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، أن النبي ﷺ قال : « من غير دينه فاضربوا عنقه » . قال مالك : معنى حديث النبي ﷺ فيما نرى والله أعلم أنه من خرج من الإسلام إلى غيره مثل الزنادقة وأشباهها فإن أولئك يقتلون ولا يستتابون ، لأنه لا تعرف توبتهم ، وأنهم قد

---

(١) سورة الكوثر ، الايات : ١ - ٣ (٢) سورة الكوثر ، الاية : ١

(٣) سورة الكوثر ، الاية : ٢ (٤) سورة غافر الايتان : ٨٤ ، ٨٥

كانوا يسرّون الكفر ويعلنون بالاسلام، فلا أرى أن يستتاب هؤلاء، ولا يقبل قولهم . وأما من خرج من الاسلام إلى غيره ، وأظهر ذلك ، فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل. وذلك أنه لو [أن قوماً][1] كانوا على ذلك، رأيت أن يدعوا إلى الاسلام ، ويستتابوا، فإن تابوا قُبل ذلك منهم ، وإن لم يتوبوا قتلوا . قال مالك : ولم يعن بهذا الحديث من خرج من اليهودية إلى النصرانية ، ولا من النصرانية إلى اليهودية ، إنما عنى بذلك من خرج من الاسلام الى غيره فيما نرى والله أعلم .

قال أبو سعيد رحمه الله : فأي كفر أعظم من كفر قوم رأى فقهاء المدينة مثل سعد بن إبراهيم ، ومالك بن أنس ، أنهم يقتلون ولا يستتابون ، اعظاماً لكفرهم ، والمرتد عندهم يستتاب ويقبل رجوعه ، فكانت الزندقة أكبر في أنفسهم من الارتداد ، ومن كفر اليهود والنصارى ، ولذلك قال ابن المبارك رحمه الله : لأن أحكي كلام اليهود والنصارى ، أحب إليّ من أن أحكي كلام الجهمية . حدثناه الحسن بن الصباح البغدادي ، عن علي بن شقيق ، عن ابن المبارك .

قال أبو سعيد : وصدق ابن المبارك ، إن من كلامهم ما هو أوحش من كلام اليهود والنصارى، فلذلك رأى أهل المدينة أن يقتلوا ولا يستتابوا، ولذلك قال أبو توبة لأحمد بن حنبل رضي الله عنهما : أما خطباؤهم فلا يستتابون ، وتضرب أعناقهم ، لأن الخطباء اعتقدوه ديناً في أنفسهم على بصر منهم بسوء مذاهبهم ، وأظهروا الاسلام تعوّذاً وجنةً من القتل ، ولا تكاد ترى البصير منهم بمذهبه يرجع عن رأيه .

قال أبو سعيد: وذهبت يوماً أحكي ليحيى بن يحيى كلام الجهمية لأستخرج منه نقضاً عليهم ، وفي مجلسه يومئذ الحسين بن عيسى البسطامي ، وأحمد بن يونس القاضي ، ومحمد بن رافع ، وأبو قدامة السرخسي فيما أحسب ، وغيرهم

---

(١) في الاصل : كان قوم .

من المشايخ ، فزبرني بغضب وقال : اسكت ، وأنكر عليّ المشايخ ـ الذين في مجلسه استعظاماً ـ ان أحكي كلام الجهمية ، وتشنيعاً عليهم ، فكيف بمن يحكي عنهم ديانة ! ثم قال لي يحيى : القرآن كلام الله ، من شك فيه أو زعم أنــه مخلوق فهو كافر ،

حدثنا يوسف بن يحيى البويطي ، عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله في الزنديق قال : يقبل قوله إذا رجع ، ولا يقتل ، واحتج فيهم بـ (إذا جاءك المنافقون)[1] الآية. فأمره الله عز وجل أن يدع قتلهم ، لما يظهرون من الاسلام وكذلك الزنديق إذا أظهر الاسلام كان في هذا الوقت مسلماً ، والمسلم غير مبدّل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا شققت عن قلبه ؟ » قال أبو سعيد رحمه الله : وأنا أقول كما قال الشافعي ، أن تقبل علانيتهم إذا اتخذوها جنة لهم من القتل ، أمروا في أنفسهم ما أمروا ، فلا يقتلوا ، كما أن المنافقين (اتخذوا أيمانهم جنة)[2] فلم يؤمر بقتلهم ، والزنديق عندنا شر من المنافق ، فلربما كان المنافق جاحداً بالرسول والاسلام ، مقراً بالله عز وجل ، مثبتــاً لربوبيته في نفسه ، والزنديق معطل لله ، جاحد بالرسل والكتب ، وما يعرف في الاسلام زنادقة غير هؤلاء الجهمية ، وأي زندقة بأظهر ممن ينتحل الاسلام في الظاهر ، وفي الباطن يضاهي قوله في القرآن قول مشركي قريش الذين ردوا على الله ورسوله ، فقالوا : (إن هذا إلا اختلاق)[3] و (إن هذا الا أساطــير الأولين)[4] و (إن هذا إلا قول البشر)[5] كما قالت الجهمية سواء : إن هذا إلا مخلوق. ولهم في ذلك أيضاً أئمة سوء أقدم من مشركي قريش ، وهم عاد قوم هود الذين قالوا لنبيهم : (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا

---

(١) سورة المنافقون ، الاية : ١ (٢) سورة المنافقون ، الاية : ٢

(٣) سورة ص ، الاية : ٧ (٤) سورة الانعام ، الاية : ٢٥

(٥) سورة المدثر ، الاية : ٢٥

إلا خلق الأولين وما نحن بمعذبين) (١) فأي فرق بين الجهمية وبينهم حتى نجبن عن قتلهم وإكفارهم ؟ اولو لم يكن عندنا حجة في قتلهم وإكفارهم إلا قول حماد ابن زيد ، وسلام بن أبي مطيع ، وابن المبارك ، ووكيع ، ويزيد بن هارون ، وأبي توبة ، ويحيى بن يحيى ، وأحمد بن حنبل ، ونظرائهم رحمة الله عليهم أجمعين ، لجبنّا عن قتلهم وإكفارهم بقول هؤلاء ، حتى نستبرىء ذلك عمن هو أعلم منهم وأقدم ، ولكنا نكفرهم بما تأولنا فيهم من كتاب الله عز وجل ، وروينا فيهم من السُنة ، وبما حكينا عنهم من الكفر الواضح المشهور الذي يعقله أكثر العوام ، وبما ضاهوا مشركي الأمم قبلهم بقولهم في القرآن ، فضلاً على ما ردوا على الله ورسوله ، من تعطيل صفاته ، وانكار وحدانيته ، ومعرفة مكانه (٢) ، واستوائه على عرشه بتأويل ضلال ، به هتك الله سترهم ، وأبدّ سوءتهم ، وعبر عن ضمائرهم. كل ما أرادوا به احتجاجاً ، لزدادت مذاهبهم اعوجاجاً ، وازداد أهل السنة بمخالفتهم ابتهاجاً ، ولما يخفون من خفايا زندقتهم استخراجاً .

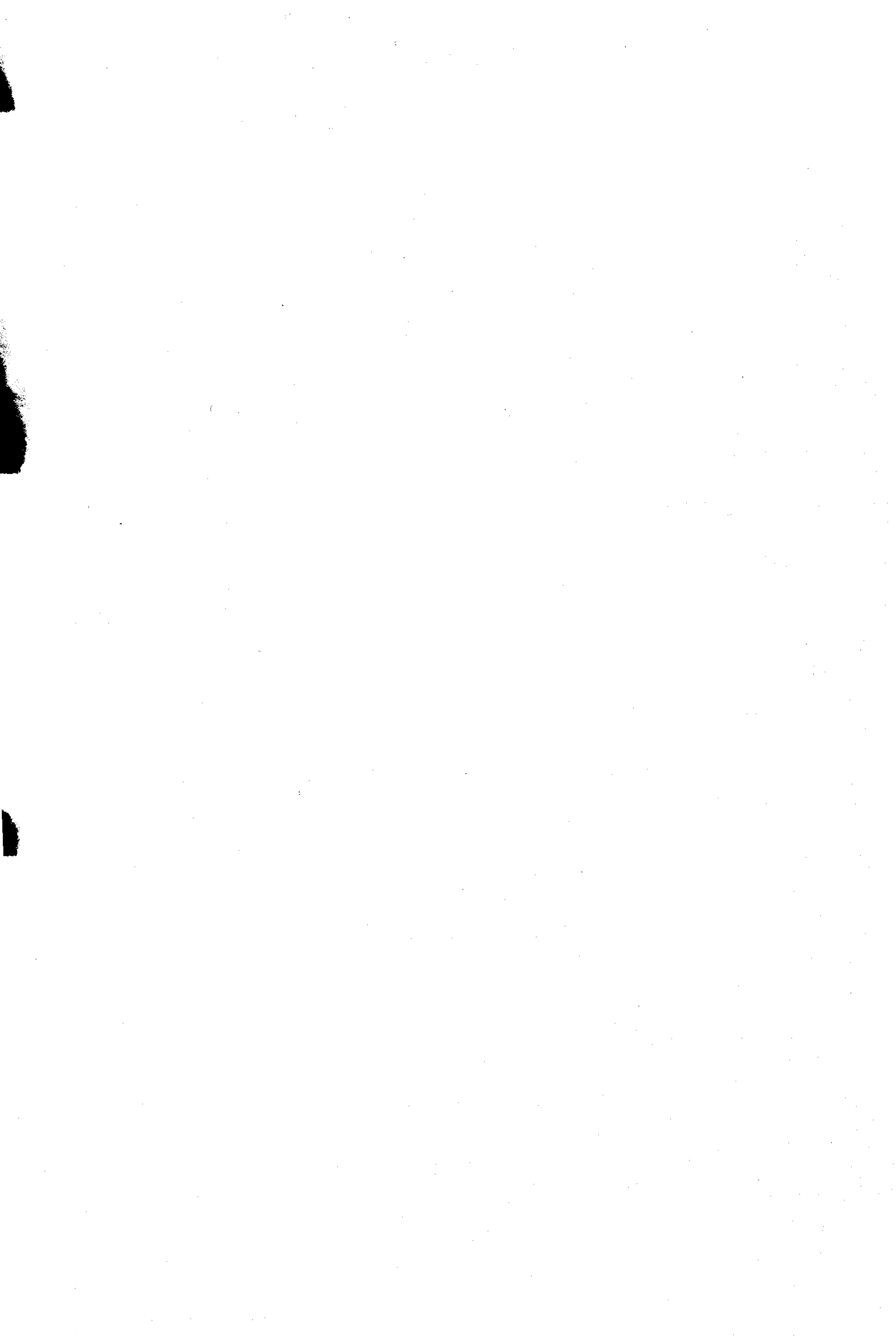
والله الموفق ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والرسل المرسلين .

---

(١) سورة الشعراء ، الايات : ١٣٦ – ١٣٨

(٢) لفظ المكان منسوباً الى الله لم يرد عن السلف ، فما نرى ذكره هنا ، ويقتصر على وصفه تعالى بالاستواء المنصوص عليه .



فهرست الأعلام

ب

الفهرس

بعض منشورات المكتب الإسلامي

التوحيد	محمد بن عبد الوهاب
تيسير العزيز الحميد	سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب
العقيدة الطحاوية	شرح وتعليق الألباني
عقيدة الفرقة الناجية	محمد بن عبد الوهاب
العقيدة في ضوء العقل والعلم	عبد الغني الخطيب
الإيمان	ابن تيمية
الكلم الطيب	ابن تيمية – الألباني
المسائل الماردينية (في فقه الكتاب والسنة)	ابن تيمية – الشاويش
الاحتجاج بالقدر	ابن تيمية – الألباني
أحكام الجنائز وبدعها	ناصر الدين الألباني
العبودية	ابن تيمية – عبد الرحمن الباني
مختصر العلو للعليّ الغفار	الالباني
عقيدة الفرقة الناجية	محمد بن عبد الوهاب
مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام	عبد الرحمن الباني
مذكرات الدعوة والداعية	حسن البنا
المرأة بين الفقه والقانون	مصطفى السباعي
مراحل العمل من أجل نهضة إسلامية معاصرة	محمد شقرة